

## حافظ إبراهيم

شاعر النيل

١٨٧٢ - ١٩٣٢



هو صنو شوقي في إحياء دولة العشر، ولئن يميز شوقي بالزعامة كما أسلفنا في الحديث عن شوقي، فإن حافظا يمتاز عنه بأن نشأته وحياته كانت شعبية، في حين كانت نشأة شوقي وحياته أرستقراطية، فكان حافظ أقرب إلى روح الشعب ومشاعره، وأقدر على تصوير آلامه التي شاركه فيها، واكتوى بلهبها، فكان لذلك أبلغ في التعبير عنها، وكانت عباراته أسهل وأقرب إلى إدراك معانيها من عبارات شوقي، لأنه كان يحس إحساساً قوياً أنه يخاطب الشعب في مجمعة مثقفيه وقارئيه.

ولد حافظ إبراهيم سنة ١٨٧٢ من أب مصري وأم من أسرة تركية، كان أبوه إبراهيم أفندي فهمي مهندساً يشرف على قناطر ديروط حيث ولد حافظ، وتوفى وحافظ في الرابعة من عمره، فكفله خاله محمد أفندي نيازي وعاش في كنفه عيشة الطبقات المتوسطة التي كانت أقرب إلى الضيق منه إلى اليسر، فأحس حافظ منذ صباه بما تعانيه الطبقات الشعبية من جهد ورقة حال، ولما ظهرت مواهبه الشعرية كان الترجمان الصادق الأمين لهذه الطبقات.

تلقى التعليم الابتدائي وجزءاً من التعليم الثانوي، ولكنه لم يتمه، وانتقل مع خاله إلى طنطا وكان مهندس تنظيم بها وانقطع حافظ وقتاً ما عن متابعة التعليم، واتجهت نفسه إلى الأدب والشعر.

واشتغل وقتاً وجيزاً بالمحاماة بطنطا، ولكنه لم يستمر فيها إذ لم يجد من نفسه ميلاً إليها، لما كانت تقتضيه من دأب على العمل المتواصل وهو لم يكن يميل إلى التقيد بمثل هذا الدأب، بل كان كالطير ينطلق مغرداً بين مختلف الأشجار والأغصان.

ولقد فكر في أن يكون ضابطاً بالجيش إذا كانت الحياة العسكرية مما يستثير في نفسه روح الشعر والخيال، أو لعله أراد أن يقلد البارودي في نشأته العسكرية، فالتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة، وتخرج منها سنة ١٨٩١ ضابطاً برتبة ملازم ثان، وكان إذ ذاك في سن العشرين تقريباً، وانتظم في حملة السودان بقيادة اللورد كنتشر سردار الجيش المصري وقتئذ، ولما انتهت الحملة بانفراد الإنجليز بحكم السودان عافت نفسه البقاء في ربوعه، فالتمس إحالته إلى المعاش وأجيب طلبه وعاد إلى مصر، وغشى مجالس الشعراء والأدباء والعلماء، وأفاض فيها من شعره وأدبه، فتألفت شاعريته، وعرف له معاصروه فضله ومكانته في عالم الأدب والشعر، وإذ كان الشعر لا يدر عليه ما يحفظ مكانته من الوجهة المادية فق عينه أحمد حشمت وزير المعارف في سنة ١٩١١ رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ إذ إحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية، وتوفى يوم ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢.

كان حافظ شاعراً بطبعه، ظهرت مواهبه الشعرية وهو في السادسة عشرة من عمره، ولم يتلقها عن معلم أو أديب، ولا تعلمها في المدارس التي انتظم بها، بل كانت وحي الإلهام، والسليقة، فكان يقول الشعر وهو في هذه السن المبكرة، ويأخذ نفسه بالمطالعات الشعرية ويحفظ قصائد فحول الشعراء المتقدمين، واشتدت به الرغبة إلى محاكاتهم في جيد الشعر، فواتته سليقته الشعرية وساعدته على تحقيق رغبته، وبدء مع الزمن أولئك الشعراء، وبلغ الذروة في عالم الشعر والأدب.

وحافظ يمتاز في شعره بقوة البلاغة وإشراق الديباجة وطلاوة الأسلوب والروح الخطابية ولقد أنصفه شوقي إذ قال في رثائه:

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها	وإمام من نجلت من البلغاء (١)
مازلت تهتف بالقديم وفضله	حتى حميت أمانة القدماء
خلفت في الدنيا بياناً خالداً	وتركت أجيالاً من الأبناء
وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل	للدهر إنصاف وحسن جزاء

(١) نجلت: أي ولدت.

أضفت الوطنية على شعر حافظ هالة من العظمة والمجد، فقد كان بلا مرء خبير ترجمان للشعب في أحاسيسه وآماله، وخير مواس له في مآسيه وآلامه، وتغنى بمصر والنيل في قصائده الغر، ولعل بقاءه في السودان عدة سنين، ومشاهدته غدر الإنجليز هناك، وتدابيرهم في تحقيق أغراضهم الاستعمارية، قد زاده سخطاً على الاستعمار واستمسكاً بوحدة وادي النيل، وتجلت هذه المواهب في عشره في شتى المناسبات حتى سمي بحق "شاعر النيل"، وهو إلى جانب ذلك شاعر الوطنية والاجتماع والأخلاق، كان لا يفتأ يدعو قومه إلى التسليح بالأخلاق في جهادهم للحرية، إذ يرى الأخلاق قوام الجهاد الصحيح، وبلغت دعوته إلى الأخلاق حد التقريع في مخاطبته لبني وطنه ومجايبتهم بالحق الصريح.

وحافظ وإن كانت ثقافته شرقية إلا أنه قد تعلم الفرنسية على كبر، واقتبس من الآداب الفرنسية ما استطاع أن يقتبسه، وساعده ذكاؤه وألمعيته على محاكاة العشر الغربي أحياناً، وكان يميل إلى التجديد في شعره، وفي ذلك يقول:

أن يا شعر أن تفك قيوداً      قيدتنا بها دعاة المحال  
فارفعوا هذه الكمائم عنا      ودعوننا نشم ريح الشمال

ولقد نجح حافظ في أن يرتفع بشعره في كثير من المواطن إلى التجديد واقتباس المعاني والأفكار والأساليب الحديثة، فزاد شعره طلاوة ورنيناً موسيقياً حبيباً إلى النفوس وجعل بعض قصائده أشبه بالأغاني والتغريد.

## الوطنية في شعر حافظ

تتجلى الروح الوطنية ويتألق نورها في شعر حافظ، ولقد وجدت الحركة الوطنية في قصائده البديعية قوة تستمد منها الحماسة والصمود في الجهاد، والثورة على الاحتلال.

كان شعره معيناً لا ينضب من الكفاح الوطني، وكان حبه للوطن يملك عليه شغاف قلبه، ويلهمه الذود عن حريته واستقلاله، ولقد عبر عن هذه العاطفة الملتهبة بقوله من قصيدة له سنة ١٩٠٠:

متى أرى النيل لا تحلو موارده      لغير مرتهب لله مرتقب  
فقد غدت مصر في حال إذ ذكرت      جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطب

كأنني عند ذكرى ما ألم بها  
إذا نطقت ففراع السجن متكأ  
أيشنكي الفقر غاديننا ورائحنا

وقوله في قصيدة له سنة ١٩٠٩:

لعمرك ما أرقرت لغير مصر  
ذكرت جلالها أيام كانت  
وأيام الرجال بها رجال

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٠:

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي  
إنني لأحمل في هواك صباية  
لهفي عليك متى أراك طليقة  
كالف بمحمود الخلال متميم

قـرم تـردد بين الموت والهـرب (١)  
وإن سـكت فإن النفس لم تطب  
ونحن نمشي على أرض من الذهب!؟

ومالي دونها أمل يـرام  
تـصـول بها الفراعنة العظام  
وأيام الزمان لها غلام

في حب مصر كثيرة العشاق  
يا مصر قد خرجت عن الأطواق (٢)  
يحمي كريم حماك شعب راقبي  
بالبذل بين يديك والإنفاق

---

(١) القرم: أي الرجل الشجاع.

(٢) الأطواق جمع طوق: أي الجهد والطاقة.

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٩ نظمها في (ملجأ الحرية):

فتعاهدنا على دفع الأذى	بركوب الحزم حتى نظفرا
وتواصلنا بصببر بيننا	فغدونا قوة لا تزدي
أنشرت في مصر شعباً صالحاً	كان قبل اليوم منك العرا (١)
كم محب هائم في جها	زاد عن اجفانه شرح الكرى (٢)
وشباب وكهول أقسموا	أن يشيدوا مجدها فوق الذرا (٣)

### حافظ ومصطفى كامل

عاصر حافظ مصطفى كامل. وكان صديقاً له معجبا بجهاده. رغم صداقته وصلته بخصومه السياسيين. وكان مصطفى شديد الإعجاب بشعره وأدبه. وعندما ظهر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠١ قرظه في "اللواء" (٤) تقرظاً يدل على عظم تقديره لشاعر النيل وأسهب في الثناء عليه سنة ١٩٠٣ عرب كتاب (البؤساء) ليفكتور هيجو.

### قصيدة حافظ في حفلة مدرسة مصطفى كامل

ويبدو إعجاب حافظ بمصطفى وجهاده في قصيدته التي ألقاها يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٦ في احتفال مدرس مصطفى كالم تعليقاً على خطبة مصطفى. قال في مطلعها:

سمعنا حديثاً (٥) كقطر الندى	فجدد في النفس ما جددا
وأضحى لآماننا منعشاً	وأسمى لآماننا مرقدا

(١) أنشرت: أحييت.

(٢) الكرى: النوم.

(٣) الذرا: جمع ذررة وهي المكان المرتفع.

(٤) عدد ٩ أكتوبر سنة ١٩٠١.

(٥) يقصد خطبة مصطفى كامل في الحفلة.

وقال يستثير في النفوس روح الأمل والحياة وهي الدعوة المحببة إلى الفقيد:

فدينك يا شرق لا تجزعه  
فكم محنة أعقبت محنة  
فلا يبئسك قيل العداة  
وأتودع فيك كنوز العلوم  
وتبعث في أرضك الأنبياء  
وتقضي عليك قضاة الضلال  
أتشقي بعهد سما بالعلوم  
إذا شاء بزلسها سره  
وإن شاء أدنى إليه النجوم  
وإن شاء زعزع شم الجبال  
وإن شاء شاهد في ذرة  
زمان تسخر فيه الرياح  
وتعنوا الطبيعة للعارفين  
إذا ما أهابوا أجاب الحديد  
وطارت إليهم من الكهرياء

إذا اليوم ولي فراقب غدا  
وولت سراعاً كرجع الصدى  
وإن كان قبلاً كحز المدى (١)  
ويمشي لك الغرب مسترفدا (٢)  
ويأتي لك الغرب مسترشدا  
طوال الليالي بأن ترقدا؟  
فأضحى للضعيف بها أيدا (٣)  
وأدرك من جريه المقصدا (٤)  
فناجى المجرة والفرقدا (٥)  
فخرت لأقدامه سجدا  
عوالم لم تحي فيها سدى  
ويغدو الجماد به منشدا (٦)  
بمعنى الوجود وسر الهدى  
وقام البخار له مسعدا (٧)  
بروق على السلك تطوي المدى

\*\*\*

(١) المدى بالضم جمعا مدية: وهي السكين.

(٢) مستر فدا: أي يطلب الرشد وهو العطاء.

(٣) الأيد، بتشديد الياء: القوى، من الأيد بمعنى القوة.

(٤) بز، سلبه، والسها الكوكب المعروف، أي إذا شاء ذو العلم سلب من السهي سر، وأظهر، للناس.

(٥) المجرة والفرقد: نجوم في السماء.

(٦) يشير إلى الطيران والفتوغراف.

(٧) مسعدا: أي معنيا.

أيجمل من بعد هذا وذاك  
وها أمة (الصفير) قد مهدت

بأن نسـتـكـين وأن نجمـدا؟  
لنا النهج فاستبقوا الموارد (١)

وقال فيها مخاطباً الشباب:

فيا أيها الناشئون اعملوا  
ستظهر فيكم ذوات الغيوب (٢)  
فيا ليت شعري من منكم

على خير مصر وكونوا يدا  
رجالاً تكون لمصر الفدا  
إذا هي نادت يلبى النداء؟

وقال في ختامها مخاطباً مصطفى كامل:

لك الله يا (مصطفى) من فتى  
إذا ما حمدتك بين الرجال  
سيحصي عليك سجل الزمان  
ويهتف باسمك أبناءنا

كثير الأيادي كثير العدا  
فأنت الخليق بأن تحمدا  
ثناء يخلد ما خلدا  
إذا آن للزرع أن يحصدا

والقصيدة من أبلغ شعر حافظ. وتأمل في البيت الأخير منه تجد حافظاً يقر لمصطفى بأنه الموجد للحركة الوطنية، وأنه الجدير بأن تعرف الأمة له هذا الفضل عندما تجني ثمار هذه الحركة. وقد ظل على هذا الرأي بعد وفاة الفقيد وبعد ظهور زعامة سعد زغلول للحركة الوطنية سنة ١٩١٩. وجهر به في رثائه للمرحوم محمد فريد في ديسمبر سنة ١٩١٩، إذا قال مناجياً روح فريد:

قل (لصب النيل) (٣) إن لاقبته  
إن مصراً لا تنني عن قصدها  
جئت عنها أحمل البشرى إلى

في جوار الدائم الفرد الصمد  
رغم ما تلقى وإن طال الأمد  
(أول البانين) في هذا البلد

(١) أمة الصفير: أي اليابان.

(٢) ذوات الغيوب: أي الأقدار التي في عالم الغيب.

(٣) يربد مصطفى كامل.

فاسترح واهناً ونم في غبطة قد بذرت الحب والشعب حصد

فحافظ يعترف هنا أيضاً لمصطفى بأنه ألو البانين في صرح الحركة الوطنية، وبأنه بذر الحب وأن الشعب حصد وجني ثمار ما بذر. ورأي حافظ سنة ١٩١٩ هو تأييد وتوكيد لرأيه سنة ١٩٠٦.

### قصيدة حافظ في حادثة دنشواي

لقيت حادثة دنشواي (١) صداها في شعر حافظ، فنشر في ٢ يوليه سنة ١٩٠٦- أي بعد صدور الحكم فيها بخمسة أيام- قصيدته المشهورة عن الحادثة. ندد فيها بسياسة الاحتلال، وسبق بها شوقي بعام، إذ أن شوقي لم يقل قصيدته عن الحادثة إلا بعد عام من وقوعها.

قال حافظ في مطلع قصيدته مخاطباً المحتلين:

أيهـا القائـمون بالأمر فينا!	هل نسـيتم ولاعنا والوداد!
خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً	وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
وإذا أعوزتكم ذات طوق (٢)	بين تلك الربا فصيـدوا العبادا
إنما نحن والحمـام سواء	لم تغادر أطواقنا الأجيادا (٣)
لا تظنوا بنا العقوق ولكن	أرشدونا إذا ظللنا الرشادا
لا تقيدوا من أمة بقتيل	صادت الشمس نفسه حين صادا (٤)

وقال يصف الحادثة وفضائع المحاكمة والتنفيذ:

(١) راجع تفصيلها في كتابنا (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية).

(٢) ذات طوق: أي الحمامة.

(٣) الأطواق هنا سلاسل الأسر والاستعباد والأجياد الأعناق، جمع جيد.

(٤) أي لا تأخذوا الأمة بقتيل أنه مات بضربة الشمس، وهو الكابتن بول.. وأقاد الحاكم القاتل بالقتيل أي قتله به قودا.

جاء جهالنا بأمر وجئتم  
أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو  
أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو

\*\*\*

ضعف ضعفيه قسوة واشتدادا  
أقصاصا أردتم أم كسادا؟  
أنفوسا أصبتم أم جمادا؟

ليت شعري أتلک (محكمة التفـ  
كيف يحلو من القوى التشفي  
إنها مثلة تشف عن الغيـ  
أكرمونا بأرضنا حيث كنتم  
إن عشرين حجة بعد خمس  
أمة النيل أكبرت أن تعادي  
ليس فيها إلا كلام وإلا

تيش) عادت أم عهد (نيرون) عادا؟  
م ضعيف ألقى إليه القيادا؟  
ظ ولسنا لغيظكم أندادا  
إنما يكرم الجواد الجوادا  
علمتنا السكون مهما تمادي  
من رماها وأشفقت إن تعادي  
حشرة بعد حشرة تتهادى

وقال مخاطبا العمومي في القضية:

أيها المدعي العمومي (١) مهلا  
قد ضمنا لك القضاء بمصر  
فإذا ما جلست للحكم فاذكر  
لا جري النيل في نواحيك يا (مصر)  
أنت أنبت ذلك النبات يا (مصر)  
أنت أنبت ناعقا قام بالأمـ

بعض هذا فقد بلغت المرادا  
وضمنا لنجاك الإسعادا  
عهد (مصر) فقد شفيت الفؤادا  
ولا جادك الحيا حيث جادا (٢)  
فأضحى عليك شوكا قتادا  
س فأدمى القلوب والأكبادا

\*\*\*

(١) إبراهيم الهلباوي.

(٢) الحيا: المطر.

إيه يا مدره القضاء ويا من أنت جلدنا فلا تنس أنا  
ساد غفلة الزمان وشادا قد لبسنا على يدك الحدادا

والقصيده كما ترى من أروع ما قال حافظ، وفيها تصوير لتلك الحادثة الفظيعة التي أظهرت مبلغ الظلم البريطاني ومبلغ هوان المصري في نظر الاحتلال، ولقد حمل حافظ بأسلوبه اللادع القوي على هذا الظلم حملات اهتزت لها أركانها، كما حمل على الضعف الذي كان من أسباب استفحال هذا الظلم، فكانت هذه الحملة دعوة صادقة إلى اطراح الضعف والأخذ بأسباب النهوض والقوة في محاربة الاحتلال.

## قصيدته في استقبال اللورد كرومر بعد حادث دنشواي

وعاد يصف فظائع الاحتلال في حادثة دنشواي في قصيدة له قالها في أكتوبر سنة ١٩٠٦ لمناسبة عودة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في أجازته وكان صاحب الحول والطول وقتئذ في البلاد.

قصر الدبارة) (١) هل أتاك حديثنا  
أهلاً بساكنك الكريم ومرحباً  
فالشرق ري له وضج المغرب  
بعده التحية إنني أتعتب  
باتت لها أحشاؤنا تتهاهب  
نقلت لنا الأسلاك عنك رسالة

إلى أن قال:

إن ضاق صدر النيل عما هاله  
أو كلما باح الحزين بأنه  
يوم الحمام فإن صدرك أرحب (١)  
أمست إلى معنى التعصب تسبب (١)

(١) يرد دار المعتمد البريطاني.

(١) يوم الحمام أي يوم صيد الحمام في حادثة دنشواي.

(١) بشير إلى ما زعم اللورد كرومر من أن التعصب الديني هو سبب حادثة دنشواي.

رفقاً عميد الدولتين بأمة  
رفقاً عميد الدولتين بأمة  
إن أرهقوا صيادكم فاعلمهم  
ولربما ضمن الفقير بقوته  
في (دنشواي) وأنت عنا غائب  
حسبوا النفوس من الحمام بديلة  
نكبوها وأفقرت المنازل بعدهم  
خايتهم والقاسطون (١) بمرصد  
جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا  
شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا  
يتحاسدون على الممات وكأسه  
موتان: هذا عاجل متمر  
والمستشار (٢) مكائر برجاله  
يختال في أنحائها متبسمًا  
طاحوا بأربعة فأردوا خامسا  
حب يحاول غرسه في أنفوس  
كن كيف شئت ولا تكل أرواحنا  
وأفض على (بند) (٣) إذا ولي القضا

ضاق الرجاء بها وضاق المذهب  
ليست بغير ولأنها تتعذب  
للقوة لا للمسلمين تعصبوا  
وسخا بمهجته على من يغضب  
لعب القضاء بنا وعز المهرب  
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا  
لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا!  
وسياطهم وحبالهم تتأهب  
بحبال من شنقوا ولو يتهيبوا  
بلظى سياط الجالدين ورحبوا (٤)  
بين الشفاه وطعمه لا يعذب  
يرنو وهذا أجل يترقب  
ومعاجز ومنعاجز ومحزب  
والدمع حول ركابه يتصبب  
هو خير ما يرجو العميد ويطلب  
يجني بمغرسها الثناء الطيب  
للمستشار فإن عدلك أخصب  
رفقا يهش له القضاء ويطرب

(١) القاسطون الظالمون.

(٢) يرد الكابتن ممثل مستشار وزارة الداخلية. وكان يشرف على تنفيذ الحكم ومعاجز من عاجزت الرجل إذا أتيت بما يجعله عاجز. وحزب أي جمع أعوانه وأحزبه فبعضهم يتولى الشنق وبعضهم يتولى الجلد.

(٣) المستر بوند وكيل محكمة الاستئناف واحد قضاة المحكمة المخصصة التي حاکمت المتهمين في حادثة دنشواي وكان القاضي الموجه للأسئلة ونمت أسئلته على سوء نيته وميله إلى الانتقام والتشفي.

(٤) أهلوا ورحبوا أي قالوا أهلاً ومرحباً.

## قصيدته في شكوى مصر من الاحتلال

قالها في يناير سنة ١٩٠٧:

حواشيه حتى بات ظلماً منظماً  
وأن أصيح المصري حراً منعماً  
فإني رأيت المن أنكي وآلما  
فأغليتم طيننا وأرخصتم دما  
فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السما  
به ربه للسوق ألفاه درهما  
متاعاً ولم تعصم من الفقر - مغنما  
قليل إذا حل الغلاء وخيما (٢)

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت  
تمن (١) علينا اليوم أن أخضب الثرى  
أعد عهد (إسماعيل) جلدًا وسخرة  
عملتم على عز الجماد وذاننا  
إذا أخضبت أرض وأجدب أهلها  
نهش إلى الدينار حتى إذا مشى  
فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تفد  
فإن كثير المال - والخفض وارف

## قصيدته في استقالة اللورد كرومر

فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا  
حقيق بتشجيع المحبين والعدا  
وشيع لنا البحر الذي كان مزيدا

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى  
لقد حان توديع العميد وإنه  
فودع لنا الطود الذي كان شامخاً

إلى أن قال:

ولم تبق للتعليم يا (لورد) معهدا  
وأجدبت في مصر العقول تعمدا  
قضاء علينا أو سبيل إلى الردي (٣)

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا  
وأنتك أخضبت البلاد تعمدا  
قضيت على أم اللغات وإنه

(١) يخاطب المعتمد البريطاني.

(٢) الخفض سعة العيش. يرد أن كثرة المال مع غلاء الأسعار لا تغني شيئاً.

(٣) أم اللغات أي اللغة العربية. يشير إلى محاربة الاحتلال للغة العربية وجعل دارسة العلوم في أكثر المدارس باللغة الإنجليزية.

ووافيت والقطران في ظل راية  
فطاح كما طاحت (مصوع) بعده  
حجبت ضياء الصحف عن ظلماته  
وأودعت تقرير الوداع مغامزاً  
غمرت بها دين النبي وإننا

فمازلت (بالسودان) حتى تمردا  
وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى  
ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا) (١)  
رأينا جفاء الطبع فيها مجسداً  
لنغضب إن أغضبت في القبر (أحمدا)

\*\*\*

يناديك أين النابغون بعهدكم  
فما عهد إسماعيل والعيش ضيق  
يناديك وليت الوزارة هيئة  
فليس بها عند التشاور من فتى  
بريك ماذا صدنا ولوى بنا  
أشرت برأي في كتابك لم يكن  
وحاولت إعطاء الغريب مكانة  
فيا ويل مصر يوم تشقى بندوة

وأبي بناء شامخ قد تجددنا؟  
بأجدب من عهد لكم سال عسجدا  
من الصمم لم تسمع لأصواتنا صدى  
أبي إذا ما أصدر الأمر أوردا  
عن القصد إن كان السبيل ممهدا؟  
سديداً ولكن كان سهما مسددا  
تجر علينا الويل والذل سرمدا  
بييت بها ذاك الغريب مسودا (٢)

\*\*\*

ألم يكفنا أنا سلبنا ضياعنا  
وزاحمنا في العيش كل ممارس  
وما الشركات السود في كل بلدة

على حين لم نبلغ من الفطنة المدى  
خبير وكننا جاهلين ورقدا  
سوى شرك يلقي به من تصيدا

(١) حجبت المؤيد أي منعتة من دخول السودان.

(٢) يشير إلى مشروع اللورد كرومر في إنشاء مجلس تشريع مختلط.

## قصيدته في استقبال السير جورست

استقال اللورد كرومر أو أقيل من منصبه في أبريل سنة ١٩٠٧ على أثر حادثة دنشواي، وخلفه في منصبه السير الدون جورست، فاستقبله حافظ بقصيدة عبر فيها عن شكوى مصر من الاحتلال وأثامه، قال فيها في أسلوب التهكم والسخرية:

إذيقونا الرجاء فقد ظمئنا  
ومنا بالوجود فقد جلهنا  
إذا أعلولي الصياح فلا تلمنا  
على قدر الأذى والظلم يعلو  
جراح في النفوس نغرن نغرا  
إذا ما هاجهن أسى جديد  
بعهد المصلحين - إلى الورود  
بفضل وجودكم - معنى الوجود  
فإن الناس في جهد جهيد (١)  
صياح المشفقين من المزيد!  
وكن قد اندملن على صديد (٢)  
هتكن سرائر القلب الجليد

إلى أن قال:

فما جننا نطاولكم بجاه  
ولكننا نطالبكم بحق  
يطاولكم ولا ركن شديد  
أضر بأهله نقض العهد

وعاد إلى ذكر حادثة دنشواي وكيف كانت مبعث اليقظة والحياة للحركة الوطنية:

رمانا صاحب التقرير ظلما  
وأقسم لا يجيب لنا نداء  
وبشر أهل مصر باحتلال  
وأنبت في النفوس لكم جفاء  
فأثمر وحشة بلغت مداها  
بكفران العوارف والكنود (٣)  
ولو جننا قرآن مجيد  
يدوم عليهم أبد الأبيد  
تعهد به بمنهل الصدود  
وزكاهما بأربعة شهود (٤)

(١) أعلولي أي علا.

(٢) نغر الجرح سال دمه، واندمل التأم.

(٣) صاحب التقرير هو اللورد كرومر.

(٤) يربد بالشهود الأربعة أعدموا في قضية دنشواي وهم أربعة.

قتيل الشمس أورثنا حياة  
فليت (كرومراً) قد دام فينا  
ويتحف (مصر) أنا بعد أن  
لينزع هذا الأكفان عنا

وأيقظ هاجع القوم الرقود (١)  
يطوق بالسلاسل كل جيد  
بمجلود ومقتول شهيد  
ونبعث في العوالم من جديد

## رثاؤه لمصطفى كامل

في يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ حين شيعت مصر جنازة مصطفى كامل وقف حافظ  
على قبره وأنشد قصيدته الرائعة في رثائه قال:

أيما قبر هذا الضيف آمال أمة  
عزيز علينا أن نرى فيك مصطفى  
أيما قبر لو أنا فقدناه وحده  
ولكن فقدنا كل شيء بفقده  
فيا سائلي أين المروءة والوفا  
هنيئاً لهم (٢) فليأمنوا كل صائح  
ومات الذي أحيا الشعور وساقه

فكبر وهلل واللق ضيفك جاثياً  
شهيد العلاف في زهرة العمر ذاوياً  
لكان التأسى من جوي الحزن شافياً (٣)  
وهيهات أن يأتي به الدهر ثانياً  
وأنى الحجا والرأي؟ ويحك هاهيا!  
فقد أسكت الصوت الذي كان عالياً  
إلى المجد فاستحيا النفوس البواليا

\*\*\*

مدحتك لما كنت حيا فلم أجد  
عليك (٤) وإلا ما لذا الحزن شاملاً

وإنني أجد اليوم فيك المراثيا  
وفيك وإلا ما لذا الشعب باكياً

(١) قتل الشمس هو الكابتن بول الضابط الإنجليزي الذي مات في حادثة دنشواي بضربة الشمس، يرد أن ما  
أصاب الناس من التكتيل بسبب هذا القتل جعلهم يثورون للمطالبة بالحرية.

(٢) يرد الإنجليز.

(٣) التأسى بمعنى الصبر.

(٤) عليك: أي عليك الحزن.

يموت المداوي للنفوس ولا يرى  
وكنا نياماً حينما كنت ساهداً<sup>(١)</sup>

لما فيه من داء النفوس مداويا  
فأسهدتنا حزناً وأمسيت غافياً

\*\*\*

شهيد العلا لا زال صوتك بيننا  
يهيب بنا: هذا بناء أقمته  
يصيح بنا: لا تشعروا الناس أنني  
يناشدنا بالله ألا تفرقوا  
فروحي من هذا المقام مطلة  
فلا تحزنوها بالخلاف فإني  
عهدناك لا تبكي وتكرر أن يرى  
فرخص لنا اليوم البكاء وفي غد  
فيا نيل إن لم تجر بعد وفاته  
ويا (مصر) إن لم تحفظي ذكر عهده  
ويا أهل (مصر) إن جهلتم مصابكم

يرن كما قد كان بالأمس داويا  
فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا  
قضيت وأن الحي قد بات خاليا  
وكونوا رجالاً لا تسروا الأعاديا  
تشارفكم<sup>(٢)</sup> عني وإن كنت باليا  
أخاف عليكم في الخلاف الدواها  
أو البأس في بعض المواطن باكيا  
ترانا كما تهوي جبالا رواسيا  
دماً أحمرأ لا كنت يا نيل جاريا  
إلى الحشر لا زال انحلالك باقيا  
ثقوا أن نجم السعد قد غار هاويا

\*\*\*

ثلاثون عاماً<sup>(٣)</sup> بل ثلاثون درة  
ستشهد في التاريخ أنك لم تكن

بجيد الليالي ساطعات زواهايا  
فتى مفرداً بل كنت جيشاً مغازيا

(١) ساهداً: ساهراً.

(٢) تشارفكم أي تنظر إليكم من علو.

(٣) إشارة إلى عمر الفقيده وهو رثم تقريبي لأنه توفي الرابعة والثلاثون من عمره.

## قصيدته في حفلة الأربعين

وله في رثاء مصطفى قصيدة أخرى ألقاها في حفلة الأربعين قال:

وأتيّت أنثر بينهم أشعاري  
هل أنت بالمهج الحزينة داري؟  
والعيش عيش مذلة وإسار  
عاد وصاح الصائحون: بدار  
طال انتظار السمع والأبصار  
ماذا أصابك يا أبا المغوار؟  
جهلاً بدين الواحد القهار  
همت وهم رجاؤها بعثار  
أو غضبة (الفاروق للمختار) (١)  
صبراً عليك وأنت شعلة نار  
عزم يهد جلائل الأخطار  
لعب الفوارس بالقنا الخطار (٢)  
بدرت إليه غوائل الأقدار؟  
وشهدت موكبه فقر قراري (٣)  
بالكهرياء وطائر ببخار  
وعلمت منه مراتب الأقدار  
حق الولاء وواجب الإكبار  
يمشون تحت (لوائك) السيار  
للحزن أسطاراً على أسطار  
ركب الحجيج بكعبة الزوار  
عند المصلي ينصتون لقراري

نثروا عليك نوادي الأزهار (١)  
زين الشباب وزين طلاب العلا  
غادرتنا والحادثات بمرصد  
ما كان أوجنا إليك إذا عدا  
أين الخطيب وأني خلاب النهي؟  
بالله مالك لا تجيب مناديا  
قم وامح ما خطت يمين (كرومر)  
قد كنت تغضب للكنانة كلما  
غضب التقى لبه وكتابه  
قد ضاف جسمك عن مداك فلم يطق  
أودى به ذاك الجهاد وهده  
لعبت يمينك باليراع فأعجزت  
وجريت للعلياء تبغي شأوها  
عز القرار على ليلة نعيه  
وتسابقت فيه النعاة فطائر  
شاهدت يوم الحشر يوم وفاته  
ورأيت كي فتفي الشعوب رجالها  
تسعون ألفاً حول نعشك خشع  
خطوا بأدمعهم على وجه الثرى  
أنا يوالون الضجيج كأنهم  
وتخالهم أنا لفرط خشوعهم

(١) نوادي الأزهار: أي الرطبة المبللة بالندى.

(٢) الفارون: عمر بن الخطاب، والمختار: النبي ﷺ.

(٣) القنا: الرماح.

(٤) أي استقرت نفسه بعد أن شهد وفاة الأمة للفقيد في موكب الجنائز.

غلب الخشوع عليهم فدموعهم  
قد كنت تحت دموعهم وزفيرهم  
أعسى فيأخذوني اللهب فأنتني  
لو لم ألد بالنعش أو بظلاله

تجري بلا كلح<sup>(١)</sup> ولا استتار  
ما بين سيل دافق وشرار  
فيصـدني متدفق التيارات  
لقضيت بين مراجل وبخار

\*\*\*

كم ذات خدر يوم طاف بك الردي  
سفرت تودع أمة محمولة  
أمنت عيون الناظرين فمزقت  
قد قام ما بين العيون وبينها

هتكت عليك حرائر الأستار  
في النعش لا خبراً من الأخبار  
وجه الخمار فلم تلذ بخمار<sup>(٢)</sup>  
ستر من الأحزان والأكدار

\*\*\*

أدرجت في العلم الذي أصفيته  
علمان حاشية من فوق الرؤس كلاهما  
ناداهما داعي الفراق فأمسيا  
تالله ما جزع المحب ولا بكى  
جزع (الهلال) عليك يوم تركته  
متلفتها متحيراً متخيراً  
إن الثلاثين التي بك فاخرت  
ضمت إلى التاريخ بضع صحائف  
شبهتهن بنقطة عطرية  
خلفتها كالمشق يحذو حذوها  
ماذا على الساري وهن<sup>(٣)</sup> منائر

منك الوداد فكان خير شعار  
في طية سلر من الأسرار  
يتعانقان على شفير هاري  
لنوي مروعة ويعد مزار  
ما بين حر أسي وحر أوار<sup>(٤)</sup>  
رجلا يناضل عنه يوم فخار  
باتت تقاس بأطول الأعمار  
بيضاء مثل صحائف الأبرار  
وسعت محصل روضة معطرا<sup>(١)</sup>  
راجي الوصول ومقتفي الآثار  
لو سار بين مجاهل وقفار

(١) الكلح العبوس أي تجري الدموع بطبيعتها بلا عبوس.

(٢) الخمار: الحجاب.

(٣) هن إشارى إلى الثلاثين عاما: أي ماذا على الساري في المجاهل والفقار إذا اهتدى بنور هذا الأعلام.

(٤) الأسي: الحزن؛ والأوار: الظمأ والتعطش، أي التعطش إلى الفقيد.

ما زلت تختار المواقف وعرة  
وهدمت سوراً قد أجاى بنائه  
ووصلت بين شكاتنا ومشايخ  
كشفوا العطاء عن العيون فأبصروا  
نبذوا كلام (اللورد) حين تبيينوا  
ورماهم بمجلدين (٢) رموهم ما

حتى وقفت لذلك الجبار (٣)  
فرعون (٤) ذو الأوتاد والأنهار  
في (البرلمان) أجلّة أختيار  
ما في الكنانة من أذي وضرار  
حنق المغيظ ولهجة الثرثار  
في رتبة الأصفار لا الأسفار

\*\*\*

واها على تلك المواقف إنها  
لم يلوه عنها الوعيد ولا ثني  
فاهناً بمنزلك الجديد ونم به  
واستقبل الأجر الكبير جزاء ما  
نعم الجزاء ونعم ما بلغته

كانت مواقف ليث غاب ضاري  
من عزمه قول المريب: حذار  
في غبطة وانعم بخير جوار  
ضحيت للأوطان من أوطار  
في منزليك (٥) ونعم عقبي الدار

### قصيدته في الذكرى الأولى للفقيد

وله قصيدة ثلاثة ألقاها عند قبره يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بإحياء ذاكره  
الأولى، وهي من أبلغ روائع الشعر العربي، قال:

(١) الروضة المعاشر: هي الكثيرة الأزمار والرياحين.

(٢) يرد بالمجلدين كتاب مصر الحديثة للورد كرومر.

(٣) اللورد كرومر.

(٤) شبه كرومر بفرعون.

(٥) أي الدنيا والآخرة.

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا (١)  
هنا جنان تعالي الله بارئيه  
هنا فم وبنان لاح بينها  
هنا فم وبنان طالما نثرا  
هنا الكمي (٢) الذي شادت عزائمه  
هنا الشهيد هنا رب اللواء هنا

\*\*\*

واقضوا هناك ما تقضي به الذمم  
ضاقت بآماله الأقدار والهمم  
في الشرق فجر تحيي ضوءه الأمم  
نثراً تسير به الأمثال والحكم  
لطالب الحق ركنا ليس ينهدم  
حامي الذمار هنا الشهم الذي علموا

يا أيها النائم الهاني بمضجعه  
باتت تسائلنا في كل نازلة  
تركت فينا فراغاً ليس يشغله  
منفر النوم (٣) سياق لغايته

\*\*\*

ليهنك النوم لاهم ولا سقم  
عنك المنابر والقرطاس والقلم  
إلا أبي ذكر القلب مضطرم  
آثاره عمم آماله أمم

إنني أري وفؤادي ليس يكذبني  
أرى جلالاً أرى نوراً أرى ملكاً  
الله أكبر هذا الوجه أعرفه هـ  
غضوا العيون وحيوه تحيته  
وأقسموا أن تذودوا عن مبادئه

\*\*\*

روحاً يحف بها الإكبار والعظم  
أرى محياً يحييننا وبيتسم  
هذا فتى النيل هذا المفرد العلم  
من القلوب إذا لم تسعد (٤) الكلم  
فنحن في موقف يحلو به القسم

(١) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده.

(٢) الشجاع.

(٣) منفر النوم أي مسهد.

(٤) أسعده: أعانته.

لبيك نحن الأولى حركت أنفسهم  
جئنا نوذي حساباً عن مواقفنا  
قبل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنا  
قد أتهمنا ولما نطلب جلاً  
قالوا لقد ظلموا بالحق أنفسهم  
إذا سكتنا تتاجوا: تكل عاداتهم

\*\*\*

لما سكتت ولما غالك العدم  
ونستمد ونستعدي<sup>(١)</sup> ونحتكم  
عف الجفأة<sup>(٢)</sup> وأعلى صوتنا الألم  
إن الضعيف على الحاليين متهم  
والله يعلم أن الظالمين هم  
إن نطقنا تتادوا: فتنة عمم

قد مر عام بنا والأمر يحزينا<sup>(٣)</sup>  
فالناس في شدة والدهر في كلب<sup>(٤)</sup>  
وللسياسة فيناكل أوننة  
بيننا نرى جمرها تخشى ملامسه  
تصغي لأصواتنا طوراً لتخذعنا  
فمن ملايين استارها خدع

\*\*\*

أنا وأوننة ننتابنا النقم  
والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم  
لون جديد وعهد ليس يحترم  
إذا به عند لمس المصطفى فحم  
وتارة يزدهيها الكبر والصمم  
إلى مصالبة استارها وهم

ماذا يريدون<sup>(٥)</sup>؟ قرت عيونهم  
كم أمة رغبت فيها فما رسخت  
ما كان ربك رب البيت تاركها

\*\*\*

إن الكنانة لا يطوي لها علم  
لها - على حولها<sup>(٦)</sup> - في أرضها قدم  
وهي التي بحبال منه تعتصم

---

(١) نستمد: نطلب المدد ونستعدي: نستتصر.

(٢) يرد بالجفأة المحتلين الجناة.

(٣) حزه الأمر: اشتد عليه.

(٤) الكلب الشدة.

(٥) يرد المحتلين.

(٦) الحول: القوة.

لبيك إنا على ما كنت تعهده  
فيعلم النيل أنا خير من وردوا

حتى نسود وحتى تشهد الأمم  
ويستطيل اختيالاً ذلك الهرم

إلى أن قال:

يا أيها النشء سيروا في طريقته  
فكلكم (مصطفى) لو سار سيرته  
قد كان لا وانيا يوماً ولا وكلاً (١)  
وأنت يا قبر قد جئنا على ظمأ  
أين الشباب الذي أودعت نضرته  
وما صنعت بآمال لنا طويت  
ألا جواب يروي من جوانحنا؟  
نم أنت يكفيك ما عانيت من تعب  
هذا (لواؤك خفاق يظللنا

وثابروا: رضى الأعداء أو نقموا  
وكلكم (كامل) لو جازه (٢) السأم  
يستقبل الخطب بساماً ويقتم  
فجد لنا بجواب جادك الديم (٣)  
أين الخلال - رعاك الله - والشيم؟  
يا قبر فيك وعفى رمسها القدم؟  
ما للقبور إذا ما نوديت تجم (٤)؟  
فنحن في يقظة والشمل ملتئم  
وذاك شخصك في الأكباد مرتسم

## تحية العام الهجري

أعد الشباب في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هجرية) احتفالاً كبيراً بالعام الهجري الجديد تولى  
الطلبة تنظيمه برعاية نادي المدارس العليا، وكان احتفالاً رائعاً أقيم بدار التمثل العربي مساء  
الجمعة غاية ذي الحجة سنة ١٣٢٦ (٢٢ يناير سنة ١٩٠٩) برئاسة أحمد بك لطفي، وألقى فيه  
حافظ قصيدته المشهورة في تحية العام الجديد. قال في مطلعها:

هلال رآه المسلمون فكبروا  
على الدهر حسنا أنها تتكرر

أطل على الأكوان والخلق تنظر  
تجلي لهم صورة زاد حسنها

(١) الوكل: العاجز الذي يكل الأمر إلى غير.

(٢) جاز: أي جاوز.

(٣) الديم جمع ديمة السحاب.

(٤) وجم يجم سكت عن الهم.

ويشـرهم من وجهه وجبينه  
وأذكرهم يوماً (١) اغر محجلاً  
وهاجر فيه خير داع إلى الهدى  
يماشيه جبريل وتسعى وراءه  
بيسراه برهان من الله ساطع  
فكان على أبواب (مكة) ركبه  
مضى العام ميمون الشهور مباركا  
مضى غير مذموم فإن يذكروا له  
وإن قيل أودي بالألوف أجابهم  
إذ قيس إحسان امرئ بإساءة  
ففيه أقام النائمون وقد أتت  
وفي عالم الإسلام في كل بقعة

وغرفته والناظرين مبشـر  
به توج التاريخ والسعد مسفر  
يحف به من قوة الله عسكر  
ملائكة ترعى خطاه وتخفر  
هدى وبينما الكتاب المطهر  
وفي (يثرب) (٢) أنواره تتفجر  
تعدد آثار له وتسطر  
هنات فطبع الدهر يصفو ويكدر  
مجيب لقد أحيا الملايين فانظروا  
فأربي عليها فالإساءة تغفر  
عليهم كآل الكهف في النوم أعصر  
له أثر باق وذكر معطر

ويعد أن سرد الحوادث في مختلف البلاد الإسلامية طوال العام المصرم، عرج على  
الحركة الوطنية في مصر فحياها أحسن تحية وكان ترجمان الشعر والأدب في تمجيدها  
وتأييدها، قال:

وفيه سرت في مصر روح جديدة  
خبت زمنا حتى توهمت أنها  
تصدى فأوراها وهيهات أن يرى  
مضى زمن التتويم يا نيل وانقضى  
وقد كان "مرفين" الدهاء مخدراً  
شعرنا بحاجات الياة فإن ونت  
شعرنا وأحسننا وباتت نفوسنا  
إذا الله أحيا أمة لن يردها

مباركة من غير نتشعر  
تجافت عن الإبراء لولا (كرومر) (٣)  
سبيلا إلى إخمادها وهي تزفر  
ففي مصر إيقاظ على مصر تسهر  
فأصبح في أعصابنا يتخدر  
عزائمنا عن نيلها كيف نعذر؟  
من العيش إلا في ذرا العز تسحر  
إلى الموت قهار ولا متجبر

(١) يرد يوم هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة.

(٢) المدينة المنورة.

(٣) خبت: خدمت، وتجافت: تباعدت، وإبراء النار، إشعالها. وكرومر هو المعتمد البريطاني في ذلك الحين  
والحاكم المطلق في مصر وقتئذ، يرد أن فظائع كرومر قد اشعلت روح الكراهية للاحتلال.



لي فيك حين بدا سناك وأشرقا      أمل سألت الله أن يتحققا

ثم ذكر العام الذي مضى وما أصاب مصر فيه من كوارث، قال:

أشرق علينا بالسعود ولا تكن      كأخيك مشنوم المنازل أخرقا

إلى أن قال ينعي حرية الصحافة وذكر ما أصابها من الضغط والاضطهاد.

ورمي على أرض الكنانة جرمه  
حصدت مناجله غراس رجائنا  
فتقيدت فيه (الصحافة) عنوة  
وأتى يساوم في (القناة) خديعة  
إن البليبة أن تباع وتشترى  
كانت تواسينا على آلامنا  
فإذا دعوى الدمع فاستعصى بكت  
كانت لنا يوم الشدائد اسهما  
كانت صماما للنفوس إذا علت  
كم نفست عن صدر حر واجد<sup>(١)</sup>  
ما لي أنوح على الصحافة جازعا  
قصوا حواشيها وطنوا أنهم  
وأتوا بحاذقهم<sup>(٢)</sup> يكيدها بها

بالنازلات السود حتى أرقنا  
ولو أنها أبقت عليه لأورقا  
ومشى الهوى بين الرعية مطلقا  
ولو أنها تمت لثم بها الشقا<sup>(٣)</sup>  
مصر وما فيها وأن لا تنطقا  
صحف إذا نزل البلاء وأطبقا  
عنا أسى حتى تغص وتشرقا  
نرمي بها وسوابقا<sup>(٤)</sup> يوم اللقا  
فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا  
لو لا الصمام من الأسى لتمزقا  
ماذا الم بها وماذا أحذقا  
امنوا صواعقها فكانت أصعقا  
يثني عزائمها فكانت أحذقا

(١) الواجد: الحزين.

(٢) يبرد بطرس غالي رئيس الوزراء، ولكن الحق أن تبعة ذلك يتحملها الوزراء جميعاً لا بطرس غالي وحده.

(٣) يشير إلى مشروع مد امتياز قناة السويس، وقد ظهر في أواخر سنة ١٩٠٩ ورفضته الجمعية العمومية، في أبريل سنة ١٩١٠.

(٤) السوابق من صفات الخيل، أي كانت لنا عدة في الجهاد.

وقال يخاطب الشباب وهيب بهم أن يعملوا ليردوا إلى مصر مجدها واستقلالها:

جددتم العهد الذي قد أخلقها  
فلرب مغلوب هوى ثم أرتقى  
خيطة الرجاء إلى العلاء فتسلفا  
إنني رأيت المجد صعب المرتقى  
سبباً إلى آماله وتعلقاً

أهلاً بنا بئمة البلاد ومرحباً  
لا تنيأسوا أن تستردوا مجدكم  
مدت له الآمال من أفلاكها  
فتجشموا للمجد كل عزيمة  
من رام وصل الشمس حاك خيوطها

\*\*\*

مهما تقلب دهره أن يسبقا  
لعب الشقاق بجمعنا فنفرقا  
فلكم أفاض عليكم وتدفقا  
فتأنقوا في سلبنا وتأنقا (١)  
يا ويلكم إن لم تهزوا المشرقاً (٢)  
لمي بق بابا للسعادة مغلقاً  
إن السوقي بكل أرض يتقي  
سوراً وخطوا من حذار خندقاً  
خبأوا لكم في كل حرف مزلقاً  
وعر أطاف به الهلاك وحلقاً  
للسالكين بكل فج موبقاً (٣)  
والموت كل الموت ألا يطرقاً (٤)  
وتعجلوها بالعزائم والرق

عار على ابن النيل سباق الوري  
أو كلما قالوا تجمع شملهم  
فتدفقوا حججا وحوطوا نيلكم  
حملوا علينا بالزمان وصرفه  
هزوا مغاربها فهابت بأسهم  
فتعلموا فالعلم مفتاح العلاء  
ثم استمدوا منه كل قواكم  
وابنوا حوالي حوضكم من يقظة  
وزنوا الكلام وسددوه فإنهم  
وامشوا على حذر فإن طريقكم  
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا  
الموت في غشيانه وطروقه  
فتحيزوا فرص الحياة كثيرة

(١) أي حارنا المحتلون بأحداث الزمان ونوائبه. وتأنق في الأمر: أي بالغ فيه.

(٢) يشير إلى الإنجليز، أي أنهم مدوا سلطانهم في دول الغرب. ويدعو المصريين إلى أن يجعلوا لمصر هذه المكانة في الشرق.

(٣) الفج: الطريق، الموبق: الهلاك.

(٤) أي إذا كان في الإقدام موت فإن في الاستسلام موتاً أكبر.

فرص الحياة خليفة أن تخلقا

أو فاخلقوها قادرين فإنما

## مسألة قناة السويس

في أواخر سنة ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ شغلت الرأي العام مسألة كبرى تتصل بحياة البلاد الاقتصادية والسياسية، وهي مشروع مد الامتياز الممنوح لشركة قناة السويس أربعين عاماً أخرى، وقد أثار هذا المشروع سخط الأمة واحتجاجها وطالبت بوقفه وبعرضه على "الجمعية العمومية" قبل البت فيه.

حركت هذه المسألة الهامة روح الشعر في نفس حافظ، فنظم في نوفمبر سنة ١٩٠٩ قصيد من بليغ شعره القومي، وصف فيها الحالة السيئة التي وصلت إليها البلاد، وأيد الحركة الوطنية في مطالبها، وعبر أصدق تعبير عن آلامها وآمالها، قال في مطلعها:

لقد نصل الدجى فمتى تنام      أهم ذا نومك أم هيام<sup>(١)</sup>

إلى أن قال:

أجمل بالأديب أديب مصر      بكاء الطفل أرهقه الفطام  
ويصرفه الهوى عن ذكر مصر      ومصر في يد الباغي تضام  
عدمت يراعتي إن كان ما بي      هوى بين الضلوع له ضرام  
وما أنا والغرام وشاب رأسي      وغال شبابي الخطب الجسام  
ورباني الذي ربي (لبيداً)      فعلمني الذي جهل الأنام<sup>(٢)</sup>  
لعمرك جلالها أيام كانت      ومالي دونها أمل يرام  
ذكرت جلالها أيام كانت      تصول بها الفراعنة العظام  
وأيام الرجال بها رجال      وأيام الزمان لها غلام  
فأقلق مضجعي ما بات فيها      وباتت مصر فيه فهل ألم؟

(١) الدجى: ظلال الليل.

(٢) لبيد، هو الشاعر العربي صاحب المعلقة التي أولها: عفت الديار محلها فرسوما

وأهاب بالشعب أن يدع التواكل والتخاذل والانقسام قال:

أرى شعباً بمدرجة العوادي  
إذا ما مر بالبأساء عام  
سرى داء التواكل فيه حتى  
قد استعصى على الحكماء منا  
هلاك الفرد منشؤه تـوان  
وانا قد ونيينا وانقسـمنا  
فساء مقامنا في أرض مصر  
فلا عجب إذا ملكت علينا  
تمخخ عظمه داء عقام (١)  
أطل عليه بالبأساء عام  
تخطف رزقه ذاك الزحام (٢)  
كما استعصى على الطب الجذام  
وموت الشعب منشؤه انقسام  
فلا سعي هناك ولا وئام  
وطاب لغيرنا فيها المقام  
مذاهنا وأكثرنا نيام

وناجى الأمير حسين كامل وكان رئيساً لمجلس شوري القوانين أن يبث روح الحياة والتضامن في نفوس أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية، وناشدهم ألا يتقوا بوعود الاحتلال، قال:

(حسين . حسين) أنت لنا فنبه  
وكن- بأبيك- لابن أخيك عوناً  
أفض في قاعة الشورى وئاماً  
وعلمهم مصادمة الأعدادي  
ففي (حزب اليمين) لديك قوم  
وفي (حزب الشمال) لديك أسد  
فكونوا للبلاد ولا يفـتكم  
فما سادوا بمعجزة علينا  
فلا تتقوا بوعود القوم يوماً  
رجالا عن طلب الحق ناموا  
فأنت بكفه نعم الحسام  
فقد أودي بنا وبها الخصام  
فمثلك لا يروعه الصدام  
وان قلوبوا فإنهم كرام  
كمائة لا يطيب لها انهزام  
من النهزات والفرص اغتنام  
ولكن في صفوفهم انضمام  
فإن سحاب ساستهم جهام (٣)

(١) المدرجة: الطرق، والعوادي: النواب. وتمخخ العظم: إذا أخرج مخه.

(٢) أي مزحمة الأجانب للمصريين

(٣) السحاب الجهام: الذي لا ماء فيه.

وخافوهم إذا لانوا فإني  
فكم ضحك (العميد) على لجانا

أرى السواس ليس لهم ذمام (١)  
وغر سراتنا منه ابتسام

ونادى بالدستور وندد بمشروع مد امتياز القناة،قال:

ليس العلم يمسكنا وحيدا  
وإن لم يدرك (الدستور) مصراً  
حموننا ورد النيل عذبا  
وما الموت الزؤام إذا عقنا  
لقد سعدت غفلتنا فراحات

إذا لم ينصر العلم اعترام  
فما لحياتها ابدا قوام  
وقالوا: أنه موت زؤام  
سوى (الشركات) حل لها الحرام  
بثروتنا وأولها (الترام)

\*\*\*

فيا ويل (القناة) اذل احتواها  
لقد بقيت من الدنيا حطاماً  
وقد كنا جعلناها زاماً

بنو (التاميز) وانحسر اللثام  
بأيدينا وقد عز الحطام  
فوالهفي إذا قطع الزمام!

\*\*\*

فيا (قصر الدبارة) لست أدري  
أجبننا هل يراد بنا وراء  
ويا (حزب اليمين) إليك عنا  
ويا (حزب الشمال) عليك منا

احرب في رايك أم سلام؟  
فنقضني أم يراد بنا أمام؟  
لقد طاشت نبالك والسهم  
ومن ابناه نجدتك السلام

---

(١) الزمام: الذمة والعهد.

وقد اضطرت الوزارة تحت ضغط الرأي العام إلى عرض المشروع على الجمعية العمومية التي قررت رفضه وبذلك حبط المشروع.

## تديده بالكولونل روزفلت

جاء الكولونل تيودور روزفلت الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة إلى مصر عن طريق السودان في مارس سنة ١٩١٠، وألقى بالخرطوم خطبة سياسية مجد فيها الاحتلال البريطاني، ودعا إلى الخضوع لحكمه، ولما وصل إلى القاهرة ألقى بالجامعة المصرية خطبة أخرى أشد وطأة من خطبته، بالخرطوم، وقد أثارت خطبته احتجاج الرأي العام، وشارك حافظ الأمة في سخطها على روزفلت، ونظم قصيدة عصماء لامة فيها على إطرانه الاحتلال، نشرها قبيل إلقاء خطبته الثانية بالقاهرة، قال.

أي خطيب الدنيا شـنـف  
إنما شوقها لقولك يا (روز)  
قف غداً أيها الرئيس وعلم  
وأخبر الناس كيف سدتم على النا  
وملكتم أعنة الريح والما  
قف وعدد مآثر العلم واذكر  
وإذا ما ذكرت أنعمه الكبـ

سمع مصر بقولك المأثور  
قلت) شوق الأيسر للتحريـ  
أهل مصر حريّة التعبير  
س وجثتم بمعجزات الدهور  
ء ودستهم على قارب العصور  
نعم الله ذكر عبـد شكور  
ري فلا تنس نعمه (الدستور)

\*\*\*

يا نصير الضعيف مالك تطري  
لم تطيقوا جوارهم بل اقمتم  
أنت تطريهم وتثني عليهم  
ليت شعري أكنت تدعو إليهم

خطبة القوم<sup>(١)</sup> بعد ذاك النكير  
في حماكم من دونهم ألف سور  
نائباً أمنياً وراء البحور  
يوم كانوا على تخوم الثغور

(١) يقصد الإنجليز.

ك) وداء مستحكماً في الصدور  
هـ من الغيل كل ليث هصور<sup>(٣)</sup>  
ر تاريخ مجدكم بالنور  
ونفضتم عنكم غبار القبور  
ن هما حليتان للمعمور  
ق وهذا في ذلة المأسور  
هجر مصر<sup>(٤)</sup> تفز بأجر كبير  
ري ذكر المتيم المهجور

يوم كانوا فذي بعين (نيويور  
يوم نادى (واسنجتون) قلبا  
يوم سجلتم على صفحات الدهر  
ووثبتم إلى الحياة ثوبا  
إنما النيل والمسيبي<sup>(١)</sup> صنوا  
وعجيب أن يفوز هذا بإطلا  
يا نصير الضعيف حبب إليهم  
فعلهم أن يهجروا وعلى المصـ

### رثاؤه لمحمد فريد

نظم حافظ في رثاء محمد فريد قصيدة من غرر شعره ألقاها بصوته الجمهوري في حفلة التأيين التي أقامها الحزب الوطني يوم الأربعاء لوفاته (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩)، فهزت مشاعر السامعين والمواطنين لما حوته من المعاني الرائعة والتقدير البالغ للزعيم الراحل، قال:

مات ذو العزيمة والرأي الأسد  
ومشى الوجد إلى (يوم الأحد)<sup>(٥)</sup>  
لوعة سالت على دمع جمد

من ليوم نحن فيه من لغد؟  
حل (بالجمعة) حزن وأسى  
وبدا شعري على قرطاسه

\*\*\*

كن مداداً لي إذا الدمع نفذ  
تبسمي للطل فالعيش نكد

أيها النيل لقد جل الأسى  
واذبلى يا زهرة الروض ولا

(١) هو النهر المشهور بأمريكا.

(٣) الغيل: موضع الأسد.

(٤) أي الجلاء عنها.

(٥) كني بيومي الجمعة والأحد عن المسلمين والمسيحيين.

تبهج بالشدو فالشدو حدد (١)  
رکن مصر وفتاها والسند

والنزم النوح أياطير ولا  
فلقد ولي (فريد) وانطوى

\*\*\*

ليس يبلي من له ذكر خلد  
نزلت شمس الضحى برج الأسد  
تختفي في الغرب أقمار الأبد (٢)

خالد الآثار لا تخش البلى  
زرت (برلين) فنأدى سممتها  
واختفت شمسك فيه وكذا

\*\*\*

سلوة النيل إذا ما الخطب جد  
وشهابا ضياء وهنا وخمد  
في جوار الدائم الفرد الصمد  
رغم ما تلقي وإن طال الأمد  
(أول البانين) (٤) في هذا البلد  
قد بذرت الحب والشعب حصد (٥)

يا غريب الدار والقبر ويا  
وحساماً فل حديه الردى  
قل (لصب النيل) (٣) إن لاقبته  
إن مصراً لا تني عن قصدها  
جئت عنها أحمل البشرى إلى  
فاسترح وهنا ونم في غبطة

\*\*\*

---

(١) الحدد: الحرام الذي لا يحل أن يرتكب.

(٢) كانت وفاة الفقيه في برلين يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩.

(٣)

(٤) يرد مصطفى كامل.

(٥) يشير إلى قيام ثورة سنة ١٩١٩.

وقـواه وهـواه والولـد  
شـقوة أحـلى من العيش الرغد  
كما قاربـه عنه ابتعد  
رب جد حاد عن مجراه جدا (١)  
فرصة شـد إليه وصمد  
وهو هـجـراه (من جد وجد)  
إنما تـكـرها عين الحسد

أثر النيل على أمواله  
يطلب الخير لمصر وهو في  
ضارب في الأرض يبغى مأرباً  
لم يعبه أن تجني دهره  
يستحم العزم حتى إن بدت  
فهو لا يثني عناناً عن منى  
فأياديـه إذا ما أنكرت

\*\*\*

موطن يعوزها فيه الممدد  
لهوة الميدان والموت رصد  
وهي والأيام في أخذ ورد  
في ربوع النيل حيا لم يكـد  
شعب مصر عينه كيف اتحد  
إنه أبلغ حزناً وأشـد  
لو يـواري فيه ذياك الجسد (٣)

فقدت مصر (فريداً) وهي في  
فقدت مصر (فريداً) وهي في  
فقدت منه خبيراً حولاً (٢)  
لم سكد يمتعها الدهر به  
ليته عاش قليلاً فتري  
ويح مصر بل فويحاً للثري  
كم تمنى وتمنى أهله

\*\*\*

فوق ذاك القبر صلى وسجد؟  
هل على أحجاره خط أحد؟  
أمة أيقظها ثم رقد!

لهف نفسي هل (بيرلين) امرؤ  
هل بكت عين فروت تربه  
ها هنا قبر شهيد في هوى

(١) الجد (بالكسر) الاجتهاد، وبالفتح الحظ. والمعنى: رب اجتهاد أخطأه الحظ.

(٢) الحول: الحادق البصري بتحويل الأمور.

(٣) الجد (بالكسر) الاجتهاد، وبالفتح الحظ، والمعنى: رب اجتهاد أخطأه الحظ.

## ثورة سنة ١٩١٩

حيا حافظ ثورة ١٩١٩ في قصيدة نظمها عن أول مظاهرة للسيدات قمن بها يوم ١٦ مارس ١٩١٩ احتجاجاً على عسف الإنجليز حيال المظاهرات السابقة وما ارتكبه مع المتظاهرين من فظائع القتل والتتكيل، وقد مجد حافظ شعور السيدات المتظاهرات وشجاعتهن، وحمل في قصيدته لاذعة على مسلك الجنود الإنجليز حيالهن، قال:

ورحلت أرقب جمعهنه	خرج الغواني يجتجن
سود الثياب شكارهنه	فإذا بهن تخذن من
يسطن في وسط الدجنه (١)	فطلعن مثل كواكب
ودار "سعد" قصدهنه	وأخذن يجتنن الطريق
ر وقد أين شحورهنه	يمشين في كنف الوقا
والخيل مطلقه الأعنه	وإذا بجيش مقبل
قد صوبت لنحورهنه	وإذا الجنود سيوفها
دق والصوارم والأسنه	وإذا المدافع والبنبا
ضربت طاقها حولهنه	والخيل والفرسان قد
ذاك النهار سلالهنه	والورد والريحان في
عات تشيب لها الأجنه	فتطاحن الجيشان سا
وان ليس لهن منه (٢)	فتضعع النسوان والنس
ل نحو قصورهنه	ثم انهزمن مشتتات الشم

\*\*\*

ر بنصره وبكسرهنه!	فليهننا الجيش الفخو
لبسوا البراقع بينهنه	فكأنمنا (الألمان) قد
فيا بمصر يقودهنه	وأتموا (بهن) دنبرج (٣) مخت

(١) الدجنة: الظلام.

(٢) المنه: القوة.

(٣) المارشال هندنبرج، القائد الشهير في الحرب العالمية الأولى.

فلذلك خافوا بأسهــــــــــــــــهن وأشفقوا من كيدهنــــــــــــــــه!

وأنشأ قصيدة حيا بها جمعية المرأة الجديدة، وألمع فيها إلى بطولة المرأة في ثورة سنة

١٩١٩.

قال:

إليكن يهدي النيل ألف تحية  
ويثني على أعمالكن موكلي (١)  
أقمتن بالأمس الأساس مباركاً  
صنعتن ما يعبي الرجال صنيعه  
معطرة في أسطر عطرات  
باطراء أهل البرد والحسنات  
وجئتن يوم الفتح مغتبطات  
فزدتن في الخيرات والبركات

\*\*\*

يقولون: نصف الناس في الشرق عاطل  
وهذي بنات النيل يعملن للنهي  
وفي السنة السوداء كنتن قدوة  
وقفتن في وجه الخميس مدججاً  
وما هالكن الرمح والسيف مصلتا  
تعلم منكم الرجال فأصبحوا  
نساء قضين العمر في الحجرات  
زيغرسن غرسا دانبي الثمرات  
لنا حين سال الموت بالمهجمات  
وكنتن بالإيمان معتصمات  
ولا المدفع الرشاش في الطرقات  
على غمرات الموت أهل ثبات

### مصر تتحدث عن نفسها

قصيدة غراء قالها سنة ١٩٢١ على أثر قطع مفاوضات عدلي - كيرزون، حين سفرت نيات الإنجليز في العدوان على مصر، وقد أشاد فيها بمجد مصر وعظمتها، ثم أشار إليها وهي تستنجد بينها البررة على غدرات الأيام ويهيب بهم أن ينظروا من تليد مجدها إلى المثل الأعلى

(١) موكلي: أي أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثناءه عليهن.

ليحتذوه، ويتعاونوا على التمسك بالحق كاملاً حتى يبلغوه، وقد أجرى الخطاب في القصيدة على لسان مصر لينصت الجميع لصوتها، إذ هي فوق الجميع، وكان عنوان القصيدة حين نشرت (مصر فوق الجميع) وهذا القصيدة أنشدتها سيدة الطرب أم كلثوم من روائع أغانيها:

وقف الخلق ينظرون جميعاً  
وبناة الأهرام في سالف الدهر  
أنا تاج العلاء في مفرق<sup>(١)</sup> الشر  
أي شيء في الغرب قد بهر النا  
فترايبي تبير ونهر فرات  
أينما سرت جول عندكم كرم  
ورجالي لي أنصفوهم لسادوا  
لو أصابوا لهم مجالا لأبدوا  
أنا إن قدر الإله مماتي

كيف أبني قواعد المجد وحدي  
ر كفوني الكلام عند التحدي  
ق ودراته فرائد عقدي  
س جمالا ولم يكن منه عندي؟  
وسمائي مصقولة كالفرند<sup>(٢)</sup>  
عند زهر مدنر عند رند<sup>(٣)</sup>  
من كهول ملء العيون ومرد<sup>(٤)</sup>  
معجزات الذكاء في كل قصد  
لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي

ما رماني رام راح سليمان  
كم بغت دولة على وجارت  
إنني حرة كسرت قيودي

من قديم عناية الله جندي  
ثم زالت وتلك عقبي التعدي  
رغم رقبتي العدا وقطعت قدي<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

قل لمن أنكروا مفاخر قومي  
هل وقفتم بقمة الهرم الأكـ

مثل ما أنكروا مآثر ولدي  
بر يوماً فريتم بعض جهدي؟<sup>(٦)</sup>

(١) المفرق: وسط الرأس.

(٢) الفرات: العذب. والفرند: السيف.

(٣) المدنر: أي مختلف الألوان، أو المشرق المتلألئ. والرند: شطر طيب الرائحة.

(٤) مرد: جمع أمرء، وهو الشاب.

(٥) القد: القيد، بقد منجد.

(٦) فريتم: أي فرأيتم.

أعجزت طوق صنعة المتحدي؟  
د وما مس لونها طول عهد  
من علوم مخبوءة طي بردي؟  
—روابلي البلى وأعجز ندى

هل رأيت تلك النقوش اللواتي  
حال لون النهار من قدم العهد  
هل فهمتم أسرار ما كان عندي  
ذاك فن التحنيط قد غلب الدهم

\*\*\*

ن ففي (مصر) كان أو عقد  
من له مثل أولياتي ومجدي؟  
مان عني الأصول في كل حد  
في سماء الدجى فأحكمت رصدي  
قبل عهد اليونان أو عهد (نجد)  
في مراس لم ابلغ اليوم رشدي؟  
وارف الظل أخضر اللون رغد؟

قد عقدت العهود من عهد فرعو  
إن مجدي في الأوليات عريق  
أنا أم (التشريع) قد أخذ الرو  
ورصدت النجوم منذ أضاءت  
وشدا (بنتئور<sup>(١)</sup>) فوق ربوعي  
أترانني وقد طويت حياتي  
أي شعب أحق مني بعيش

\*\*\*

—ماء وأن يك—در وردي؟  
—أسد منهم وأن تقيد أسدي؟  
ما يعاني هوانه كل عبد<sup>(٢)</sup>  
ئي فشردوا إلى العلا أي شد  
يان أمضي من كل أبيض هندي

أمن العدل أنهم يردون ال—  
أمن الحق أنهم يطلقون ال—  
نصف قرن إلا قليلا أعاني  
نظر الله لي فأرشد أبنا  
إنما الحق قوة من قوى الد

وقال في تمجيد التضحية والصمود والصبر أمام الشدائد:

(١) بنتئور: أقدم شاعر عرفه التاريخ وهو مصري، وقبل عهد اليونان الخ، أي قبل شعراء اليونان وشعراء العرب.

(٢) يقصد عهد الاحتلال البريطاني.

قد وعدت العلي بكل أبي  
أمهروها بالروح فهي عروس  
وردوا بي مناهل العز حتى  
وارفعوا دولتي على العلم والأخ  
وتواصوا بالصبر إن فا  
خلق الصبر وحده نصر القو  
شهدوا حوامة الوغي بنفوس  
فحما الصبر آية العلم في الحرب

من رجالي فأنجزوا اليوم وعدي  
تشنا المهر في عروض ونقد<sup>(١)</sup>  
يخطب النجم في المجرة ودي  
لاق فالعلم وحده ليس يجدي  
رق قوما فماله من مسد  
م وأغنى عن اختراع وعد  
صابرات وأوجه غير ريد  
وأحى على القوى الأشد

وقال يدعو إلى توحيد الكلمة ونبذ الشقاق وكانت البلاد وقتئذ في غمرة من الانقسام:

إن في الغرب أعينا راصدات  
فوقها مجهر يريها خفايا  
فاتقوها بجنة من وئام  
واصفحوا عن هنات من كان منكم  
نحن نجتاز موقفاً تعثر الآ  
ونعير الأهواء حرباً عواناً  
ونير الفوضى على جانبيه  
ويظن الغوى أن لا نظام  
فقفوا فيه وقفه الحزم وارموا  
إننا عند فجر ليل طويل  
غمرتنا سود الأهويل<sup>(٢)</sup> فيه  
وتجلى ضيأؤه بعد لأي  
فاستبينوا قصد السبيل وجدوا

كحلتها الأطماع فيكم بسهد  
كم ويطوي شعاعه كل بعد  
غير رث العرا وسعي وكد  
رب هاف هفا على غير عمد  
راء فيه وعثرة الرأي تردي  
من خلاف والخلف كالسل يعدي  
فيعيد الجهول فيها ويدي  
ويقول القوى قد جد جدي  
جانبيه بعزيمة المسعد  
قد قطعناه بين سهد ووجد  
والأمانى بين جزر ومد  
وهو رمز لعهدى المسعد  
فالمعالي مخطوبة للمجد

(١) تشناً: تكر.

(٢) الأهويل جمع أهوال.

## الاستقلال المقيد

قالها عندما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

أصبحت لا أدري على خبرة  
أموقف للجند نجتازهم  
ألمح لاسقلالنا لمعنة  
وتطمس الظلمة آثارها  
قد حارت الأفهام في أمرهم  
فقائل لا تعجلوا إنكم  
وقائل أوسع بها خطوة  
وقائل أسرف في قوله:  
إن تسألوا العقل يقل عاهدوا  
وأسسوا داراً لنوابكم  
ولتذكر الأمة ميثاقها  
وتنتخب صفة أبنائها  
وليتق الله أولو أمرها  
أو تسألوا القلب يقل حاذروا  
إنني أرى قيلاً فلا تسلموا  
إن هياؤه من حريركم  
حتام- والصبر له غاية-  
حتام- والأموال مشفوهة- (١)  
حتام يمضي أمرنا غيرنا

أجدت الأيام أم تمزح؟  
أم ذاك للاهي بنا مسرح؟  
في حالك الشك فاستروح  
فأنتنى أنكر ما ألمح  
إن لمحووا بالقصد أو صرحوا!  
مكانكم بالأمس لم تبرحوا  
وراءها الغاية والمطمح  
هذا هو استقلالكم فافرحوا  
واستوثقوا في عهدكم تبرحوا  
للرأي فيها والججا أفسحوا  
ألا ترى عزتها تجرح  
فمنهم المخلص والمصلح  
أن يسكتوا الأصوات أو يرفحوا (٢)  
وصابروا أعداءكم تفلحوا  
أيديكم فالقيد لا يسجج (٣)  
فهو عل لين به أفدح  
لغيرنا من بئنا نمتح؟  
نمنح إلا (مصر) ما نمتح؟  
وذاك بالأحرار لا يملح؟

(١) أي مستفدة مضبعة.

(٢) يرد تأين المواطنين من النفي إلى (رفح) وكانت منذ ثورة سنة ١٩١٩ منفي للأحرار.

(٣) يلين ويسهل.

وعاد يدعو إلى الوحدة والوئام ويستنكر الفرقة والانقسام:

أساء بعض الناس في بعضهم  
فانتهزت أعداؤنا نَهْرَةً  
فالرأي كل الرأي أن تجمعوا  
وكل من يطمع في صدعكم  
أخشى إذا استثمرتم بينكم  
فلتقصدوا ما استطعتم فيهم  
ظنا وقد أمسوا وقد أصبحوا  
فينا وما كانت لهم تسنح  
فإنما إجماعكم أرجح  
فإنه في صخرة ينطح  
من قيادة الآراء أن تفضحوا  
فإنما في القلعة المنجح

## يستحث المواطنين على التضحية والجهاد

نظم حافظ سنة ١٩٠٤ قصيدة رائعة عن (غادة اليابان) ضرب فيها الأمثال في التضحية والجهاد، وجعلها على لسان غادة وطنية من اليابان وأشاد بشجاعته في الحرب التي شبت بين بلادها والروسيا عام ١٩٠٤، إذ ذهبت متطوعة إلى ميادين القتال تواسي الجرحى، وترعي حقهم قال:

لا تلم كيف إذا السيف نبا (١)  
رب ساع ميصر في سعيه  
مرحباً بالخطب يبلاوني إذا  
إيه يا دنيا اعبسي أو فابسي  
صح منى العزم والدهر أبي  
أخطأ التوفيق فيما طلبا  
كانت العلياء فيه السببا  
لا أرى برقك إلا خلبا (٢)

إلى أن قال:

كنت أهوى في زماني غادة  
وهب الله لها ما وهبا

(١) نبا السيف: كل وارتد.

(٢) البرق الخلب الذي ينتظر الناس مطر، ويخلفهم.

حلمت لي ذات يوم نبأ  
وأنت تخطر والليل فتى  
ثم قالت لي بثغر باسم  
نبأوني برحيل عاجل  
ودعاني موطني أن أعتدى<sup>(١)</sup>  
نذبح الدب<sup>(٢)</sup> ونفري جده

لا رعاك الله يا ذاك النبأ  
وهلال الأفق في الأفق حبا  
نظم الدر به والحبيا  
لا أرى لي بعده منقلباً<sup>(٣)</sup>  
عاني أفضي له ما وهبا  
أيظن الدب أن لا يغلبا؟

\*\*\*

قلت والآلام تغري مهجتي  
ما عهدناها لظبي مسرحا  
ليست الحرب نفوساً تشتري  
أحسبت القدم من عدتها  
فدعيها للذي يعرفها

ويك! ما تصنع في الحرب الظبا؟  
يبتغي ملهي به أو ملعبا  
بالتمني أو عقولا تسبتي  
أم ظننت اللحظ فيها كالشبا<sup>(٤)</sup>  
والزمي يا ظبية البان الخبا<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

---

(١) أعتدى، أي أبادر مبكراً للدفاع عنه.

(٢) الدب: رمز لروسيا.

(٣) المنقلب: العودة.

(٤) الشبا: جمع شباة وهي حد السيف.

(٥) البان: شجر لين تألفه الظبا، والخبا: البيت.

وأرتتني الطبقى ليثا أغلبيا  
كيف تدعوني ألا أشربيا؟  
عن مرادي أو أذوق العطبيا  
تستطع كفاي تقليب الطبيا  
وأواسي في الوغي من نكبيا  
أن نرى الأوطان أما وأبيا  
أنهض الشرق فهزنا المغربيا  
ودعنا للعلا أن تدأبا  
وقضت من كل شيء مأربيا

فأجابتني بصورة راعني  
إن قومي استعذبوا ورد الردى  
أنا يابانية لا أنتهي  
أنا إن لم أحسن الرمي ولم  
أخدم الجرحى وأقضي حقهم  
هكذا (الميكاد) قد علمنا  
ملك يكفيك منه أنه  
بعث الأمة من مرقدها  
فسمت للمجد تبغي شأوه

## يستنهض الهمم، ويدعو إلى توحيد الكلمة

قال من قصيدة له سنة ١٩٢٣ يخاطب المواطنين:

بعضا الجماعة تظفروا بنجاح  
-والصبح أبلج- حامل المصباح (١)  
شبح التخاذل أنكر الأشباح  
بسوى خلاف بيننا وتلاحي (٢)

ويد الإله مع الجماعة فاضربوا  
كونوا رجالا عاملين وكذبوا  
ودعوا التخاذل في الأمور فإنما  
والله ما بلغ الشقاء بنا المدى

\*\*\*

مجد الجدود ولا تعد لمراح (٣)  
دنياك دار تتاحر وكفاح

قم يا ابن مصر فأنت حر واستعد  
شمر وكفاح في الحياة فهذه

(١) الإشارة إلى الفيلسوف ديوجنس الذي كان يحمل في رابعة النهار مصباحا يبحث عن رجل.

(٢) التلاحي: التخاصم.

(٣) يربد بمراح: الأخذ بأسباب المرح واللهور.

واضرب على الإلحاح بالإلحاح  
خوض البحار رياضة السباح  
في البر لا يلويك غاب رماح  
بين الشعوب الشعوب طبيعة الكداح

وإذا ألح عليك خطب لا تهن  
وخض الحياة وإن تلاطم موجها  
في البحر لا تثنيك نار بوارج  
وانظر إلى الغربي كيف سمت به

إلى أن قال:

يرنو بعين غير ذات طماح  
وذكأؤه كالخاطف اللماح  
في فادح البؤسي مع الأنواح  
إن الذكاء حباله الأرياح  
فلكم وردت الماء غير قراح

وابن الكنانة في الكنانة راكد  
لا يستغل كما علمت ذكاه  
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح  
واربح لمصر برأس مالك عزة  
واشرب من الماء القراح منعما

## يحذر سعداً من خداع الإنجليز

قال سنة ١٩٢٤ يخاطب سعد زغلول من قصيدة له تهنته بنجاته من محاولة اغتياله  
وكان إذا ذلك معتزماً السفر إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في القضية الوطنية:

مهما بدا لك أنه معسول  
والختل<sup>(١)</sup> فيه مذوب مصقول  
قد عاد منه وفي الفؤاد غليل<sup>(٢)</sup>  
ولههم روايات به وفصول  
قنصوا النهي أسيرهم مذبول  
معنى يقال بأنه معقول  
ولكل كاذبة الخضاب نصول

لا تقرب (التاميز) واحذر ماءه  
الكيد ممزوج بأصفي مائه  
كم وارد يا (سعد) قبلك ماءه  
القوم قد ملكوا عنا زمانهم  
ولههم أحابيل<sup>(١)</sup> إذا ألقوا بها  
ولكل لفظ في المعاجم عندهم  
نصت<sup>(٢)</sup> سياستهم وحلا صباغها

(١) الأحابيل: المصايد.

(٢) نصت: انكشفت وخرجت من لونها الكاذب شغلى لونها الحقيقي. وحال: تحول.

جمعوا عقاقير الدواء وركبوا ما ركبوه وعندك التحايل

## حافظ والإنجليز وجها لوجه

في سنة ١٩٣٢ ساهم الإنجليز مع العناصر الرجعية في إلغاء الحياة الدستورية، وتظاهروا بأنهم على الحياد في هذه المحنة، مع أنهم مدبروها، وقد هاجمهم حافظ بقصائد رائعة نعي فيها عليهم بغيتهم وعدواهم، وكشف فيها الستار عن حياض الكاذب، وطعن على سياسة الاستعمار عامة، و أعاد بحملاته عليهم ذكرى قصائده الوطنية الخالدة التي نظمها في تمجيد الحركة الوطنية ومهاجمته الاحتلال في عهد مصطفى كامل ومحمد فريد.

قال في مارس سنة ١٩٣٢ مخاطباً الإنجليز مندداً بسياسة "الحياد" التي أعلنوها، ناعياً عليهم ظلمهم وإخلافهم وعودهم للأمة:

فكان لكم بين الشعوب زمام <sup>(٤)</sup>	بنيتم على الأخلاق أساس ملككم
وحل بها ضعف ودب سقام	فمالي أرى الأخلاق قد شاب قرنها <sup>(٣)</sup>
فليس لملك الظالمين دوام	أخاف عليكم عشرة بعد نهضة
لما قام بين الأمنين خصام	أضعتم وداذا لو رعيتهم عهد
وبعد الجروح الناغرات <sup>(٥)</sup> وئام؟	أبعد "حياد" لا راعي الله عهد
فليس على باغي الحياة ملام	إذا كان في حسن التفاهم موتنا

(١) الختل: الخداع والمكر.

(٢) الغليل: شدة العطش.

(٣) القرن: الذؤبة من الشعر.

(٤) الزمام هنا الحق والحرمة.

(٥) الناغرات: الداميات.

وقال في هذا المعنى:

فمصايبكم ومصايبنا سيان  
أخلاقنا فتألم الشعبان

لا تذكروا الأخلاق بعد "حيادكم"  
حاربتمو أخلاقكم لتحاربوا

وقال عن (اليحاد الكاذب):

ت العهد نقض الغاصب  
وأبنتت ود الصاحب  
س من "الحيااد" الكاذب

قصر الدبارة قد نقض  
أخفيتت ما اضمرته  
الحرب أروح للنفوس

وقال مخاطباً السير برسي لورين المندوب السامي البريطاني وقتئذ، مندداً بحياد الإنجليز المصطنع:

تصيد البط بؤس العالمينا؟  
من البلى - ألم تسمع أنينا؟  
وقد بعثوك مندوباً أميناً؟  
وأصبح ظننا فيكم بقينا  
وقد برح الخفاء محايدينا  
لدى الجلى (٢) كراماً صابرينا  
تطيفنا ورغم القاسطينا (٣)  
من النيران يعيي الدارينا  
ولكن بالأوسد مصفدنا  
إذا ما نازل الحق المبينا؟

ألم تر في الطريق إلى "كياد" (١)  
ألم تلمح دموع الناس تجري  
ألم تخبر بني "التاميز" عنا  
بأننا قد لمسنا الغدر لمسا  
كشفنا عن نواياكم فلستم  
سنجمع أمرنا فترون منا  
ونأخذ حقنا رغم العوادي  
ضربتم حول قادتنا نطاقا  
عل رغم المروءة قد ظفرتم  
فهل يجديكم الأسطول نفعا

(١) بركة بمركز فاقوس

(٢) الجلى: النازة الشديدة.

(٣) القاسطون: الظالمون.



من أسدده ذلك العرين  
الحق دين المسلمين  
شور المعتمدين

داسوا العرين وقد خلا  
خسر المبشر، إن دين  
الله حاميه وكافيه

## نحن والإنجليز وجها لوجه

وقال أيضاً:

تجري وهل بعد الدماء سلام؟  
أن الحياد على الخصام لثام  
حتى ينفس كـريهن صمام  
بـودادكم فـودادكم أحلام  
نشقى بكم في أرضنا ونضام؟  
سنموت أو نحى ونحن كرام

قل للمحايد هل شهدت دمانا  
سفكت مودتنا لكم وبدالنا  
إن المراجـل شرها لا يتقي  
لم يبق فينا من يمنى نفسه  
أمن السياسة والمروءة أننا  
إننا جمعنا للجهاد صفوفنا

وقال في أبريل سنة ١٩٣٢ تحت عنوان (إلى الإنجليز)، وهي من أبلغ ما قيل في تحدي

القوة الغاشمة والصمود أمام الشدائد مهما عظمت:

واطمسوا النجم واحرمونا النسيما  
وامألوا الجو إن أردتم رجوما  
(كونستبلا) بالسوط يفري الأديما<sup>(١)</sup>  
أو ترونا في التراب عظماً رميما

حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا  
وامألوا البحر إن أردتم سفينا  
وأقيموا للعسف في كل شبر  
إننا لن نحول عن عهد مصر

\*\*\*

---

(١) يفري الأديم أن يشق الجلد.

وكفاكم بالأمس خطباً جسيماً  
وبلغتم في الشرق شأواً عظيماً  
وتركتكم في النيل عهداً ذميماً  
ل وودا يسقي الحميم الحميماً (٢)  
قد رأيت المصير أمسى وخيماً!

عاصف صان ملككم وحماكم  
غال (أرمادة) (١) العدو ففزتم  
فعدلتم هنيهة، وبغيتم  
فشهدنا ظلماً يقال له العد  
فاتقوا غضبة العواصف إنني

وقال أيضاً (أبريل سنة ١٩٣٢):

أما أرضاكم ثمن الحيادة؟  
فما هذا التحكم في العباد؟  
فكان كلاهما ذر الرماد  
فلم يغن المسالم والمعادي  
وليس أماناً غير الجهاد

لقد طال الحيادة ولم تكفوا  
أخذتم كل ما تبغون منا  
بلوننا شدة منكم وليناً  
وسالمتم وعاديتم زماناً  
فليس وراءكم غير التجني

## وعدو الإنجليز في الجلاء

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بكاتب فرنسي زعم أن جلاء الإنجليز سيكون في أكتوبر من ذلك العام:

أصبح في الإبهام كالمحشر  
كذبة (إبريل لأكتوبر)

كم حددوا يوم الجلاء الذي  
وسن قوم الطيش من جهلهم

(١) الأرمادة هي الأسطول الأسباني الذي تحطم في القرن السادس عشر بعاصفة حالت بينه وبين مهاجمة الأسطول الإنجليزي الذي كان دوته وعدداً.

(٢) الحميم الأول الصديق، والحميم الثاني الشراب الشديد الحرارة.

## حافظ وصدقي باشا

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بسياسة صدقي باشا رئيس الوزارة وقتئذ من قصيدة لم ينشر منها إلا النزر اليسير:

قد مر عام يا سعاد وعام  
صبوا البلاء على العباد فنصفهم  
أشكو إلى (قصر الدبارة) ماجتي  
وابن الكنانة في حمام يضام  
يجبي البلاد ونصفهم حكام  
(صدقي) الوزير وماجبي (علام) (١)

ومنها في مخاطبة صدقي باشا:

ودعا عليك الله في محرابه  
لا هم أحي ضميره ليذوقها  
الشـيخ والقـسيس والـخـام  
غصصا وتـسـف نـفـسـه الألام

## يكافح الاستعمار ويدعو إلى الفداء

قال في حرب طرابلس (سنة ١٩١١ - ١٩١٢) حين اعتدت إيطاليا على العرب يستحث أمم الشرق أن تنهض وتكافح الاستعمار، ويمجد التضحية في سبيل الحرية:

طمع ألقى عن الغرب اللثاما  
وأحملى أيتها الشمس إلى  
واشهدي يوم التتادي (٢) أننا  
مادت الأرض بنا حين انتشت  
عجز الطليان عن أبطالنا  
كباوهم، قتلوهم، متلووا  
فاستفق يا شرق واحذر أن تناما!  
كل من يسكن في الشرق السلاما  
في سبيل الحق قد متا كراما  
من دم القتلى حلالاً وحراما  
فأعلوا (١) من دراريننا الحساما  
بذوات الخدر، طاحوا باليتامى

(١) محمد علام باشا، وكيل حزب أشعب الذي ألفه صدقي باشا. يشير على ما كانوا يجربونه من الأموال إعانة لحزب الشعب.

(٢) يوم القيامة.

يرحموا طفلاً، ولم يبقوا غلاماً  
حرمت (لاهائي) في العهد احتراماً  
فسلوه: بارك القوم علاماً؟  
أمراً يلقي على الأرض سلاماً؟  
وجلوا عن أفق الشرق الظلاماً  
أقسمت تلتمهم الشرق التهاماً

ذبحوا الأشياخ والزمني<sup>(١)</sup>، ولم  
أحرقوا الدور، استحلوا كل ما  
بارك المطران في أعمالهم  
أبهذا جاءهم إنجيلهم  
كشفوا عن نية الغرب لنا  
فقرأناها سطوراً من دم

وختم قصيدته بقوله:

تقنطي اليوم فإن الجد قاماً  
تعشق المجد، وتأبي أن تضاماً

فإطئني أمم الشرق ولا  
إن في أضلاعنا أفئدة

## تمجيده للشورى

قال في عمريته المشهورة التي أنشأها في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

جزاك ربك خيراً عن محبيها  
وللمنية آلام تعانيتها  
إلى الجماعة إنذاراً وتبديها  
فجرد السيف واضرب في هواذها  
طعم المنية مرّاً عن مراميها  
فعاش ما عاش بينيها ويعليها  
إن الحكومة تغري مسـتـبديها  
رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

يا رافعاً راية الشورى وحارسها  
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها<sup>(٣)</sup>  
لم أنس أمرك للمقداد يحمله  
إن ظل بعد ثلاث حاشية رأيها شعباً  
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها  
دري عميد بني الشورى بموضعها  
وما اسبد برأي في حكومته  
رأي الجماعة لا تشقي البلاد به

(٢) أعلو أي سقوا.

(١) الزمني: ذور العاهات.

(٣) دولتها: أي دولة الشورى.

## الاستمرار في الكفاح

قال سنة ١٩٢٤ يدعو إلى الاستمرار في الكفاح:

إننا سنعمل للخلاص ولا ننوي  
كم دولة شهد الصباح جلالها  
وقصور قوم زاهرات في الدجى  
والله يقضي بيننا ويبدل<sup>(١)</sup>  
وأتى عليها الليل وهي فلول  
طلعت عليها الشمس وهي طولول

\*\*\*

يأيهما النشء الكرام تحية  
يا زهر مصر وزينها وحماتها  
جدتم لها بالنفس في ورد الصبا  
كم من سجين دونها ومجاهد  
سيروا على سنن الرئيس وحققوا  
أنتم رجال غد وقد أوفى غد  
كالروض قد خطرت عليه قبول<sup>(٢)</sup>  
مدحي لكم بعد الرئيس<sup>(٣)</sup> فضول  
والورد لم ينظر إليه ذبول  
دمه على عرصاتها مظلول  
أمل البلاد فكلكم مأمول  
فاسنقبلوه وحجلاوه وطولوا<sup>(٤)</sup>

---

(١) يبدل، أي يجعل الدولة لنا عليهم.

(٢) القبول: ربح الصبا.

(٣) يقصد هنا سعد زغلول.

(٤) حجلاوه، أي اجعلوه يوما ابيض، وطولوا أي افخروا واعتزوا.

## تقريره للمواطنين

وبلغ حثه المواطنين على النهوض حد التقرير أحياناً. وله سنة ١٩٠٤ قصيدة يعني فيها على مواطنيه بعض عيوبهم الاجتماعية، وقد نظمها لمناسبة قضية شخصية ثار لها الرأي العام بغير موجب، إذ تزوج صاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف بكريمة السيد عبد الخالق السادات، فرفع هذا دعوى أمام المحكمة الشرعية طالباً فسخ عقد الزواج بحجة عدم الكفاءة في النسب، وانحاز الرأي العام إلى جانب المدعي، وأخذ القضاء بوجهة نظره رغم علو مكانة الشيخ على يوسف في الهيئة الاجتماعية، قال حافظ:

وعفت البيان فلا تعتبي  
ولا أنت بالبلد الطيب  
أقال اليراع ولم يكتب  
فقد ضاق منك ما ضاق بي  
سكوت الجماد ولعب الصبي؟  
لسلب الحقوق ولم تغضب

حطمت اليراع فلا تعجبي  
فما أنت يا مصر دار الأديب  
وكم فيك يا مصر من كاتب  
فلا تعذليني لهذا السكوت  
أعجبني منك يوم (الوفاق) (١)  
وكم غضب الناس من قبلنا

\*\*\*

مجد بمصر فلا تلعبني  
وللنشء شر من الأجنبي  
ويبين المساجد مثوى الأب؟  
كما قال فيها (أبو الطيب) (٢)  
ونحن من اللهو في ملعب  
فرار السليم من الأجر  
وأخرى تشن على الأقرب

أنابتة العصر إن الغريب  
يقولون: في النشء خير لنا  
أفي (الأزكية) مثوى البنين  
(وكم ذا بمصر من المضحكات)  
أمور تمر وعيش يمر (٢)  
وشعب يفر من الصالحات  
وصحف تطن طنين الذباب

(١) يقصد الإنفاق الذي عقد بين فرنسا وبرطانيا سنة ١٩٠٤ وبمقتضاه أقرت فرنسا الاحتلال البريطاني لمصر.

(٢) عيش يمر، أي يصير مرأً.

(٣) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبّي: (وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء).

ويدعو إلى ظله الأرحب  
ويطلب في ورده الأعذب  
على غير قصد ولا مأرب

وهذا يلوذ بقصر الأمير  
وهذا يلوذ بقصر السفير  
وهذا يصيح مع الصائحين

\*\*\*

رماه بها الطمع الأشعبي  
فجن جنونا بينت النبي!  
وضج لها القبر في (يثرب) (١)  
وقالوا: تلون في المشرب  
أوفاً تدور مع الأحقـب  
أغار على النسب الأنجب  
بحكم أحد من المضرب  
تساقط كالمطر الصيب؟  
تزف البشائر في موكب؟  
وساماً يليق بصدر الأبى؟

وقالوا: (المؤيد) في غمرة  
دعاه الغرام بسن الكهول  
فضج لها العرش والحاملوه  
ونادى رجـال بإسقاطه  
وعدوا عليه من السيئات  
وقالوا لصيق بيت الرسول  
وزكي (أبو خطوة) قولهم  
فما للتهاني على داره  
وما للوفود على بابـه  
وما للخليفة أسدى إليه

\*\*\*

جان المفوه والأخطب  
ويصلي البريء مع المذنب؟  
ويكرم فينا الجهول الغبي

فيا أمة ضاق عن وصفها  
تضيع الحقيقة ما بيننا  
ويهضم فينا الإمام الحكيم

\*\*\*

---

(١) اسم قديم للمدينة المنورة.

على الشرق مني سلام الودود      وإن طأطأ الشرق للمغرب  
لقد كان خصباً بجذب الزمان      فأجذب في الزمن المخصب

### شعره الاجتماعي

يزخر شعر حافظ بالاجتماعيات، فهو من هذه الناحية أغزر مادة وأعمق غورا من شوقي، ولا غرو فقد كان أكثر اتصالا بالطبقات الشعبية، وعاني ما تعانيه من الألم وللحرمان، فصار أدق تصويراً لأحوالها وآلامها، وفي ذلك يقول بحق عن نفسه في قصيدته التي أنشدها بدار الأوبرا سنة ١٩١١ في حفلة جمعية رعاية الأطفال:

لم أقف موقفي لأنشد شعراً      صب في قالب بديع النظام  
إنما قمت فيه والنفس نشوى      من كؤوس الهموم والقلب دامي  
فلماذا وقفت استعطف النا      س على البائسين في كل عام  
دقت طعم الأسي وكابدت عيشاً      دون شربي قذاه شراب الحمام (١)  
فتقابلت في الشقاء زمانا      ونقلت في الخطوب الجسام  
ومشى الهم ناقباً في فؤادي      ومشى الحزن ناخراً في عظامي

### عطفه على منكوبي حريق ميت غمر

في سنة ١٩٠٢ شب حريق مروع في مدينة ميت غمر، وبقيت النار مشتعلة فيها عدة أيام، فدمرت كثيراً من دورها ومات في الحريق كثيرون؛ ولعظم النكبة تسابق أهل الخير في إعانة المنكوبين وإسعافهم، وفاضت أعمدة الصحف بأبناء ما أصابهم، وفي ذلك أنشأ حافظ قصيدته المشهورة في وصف هذه الكارثة والعطف على ضحاياها. قال:

---

(١) الحمام الموت.

سائلوا الليل عنهم والنهارا  
كيف أمسى رضيهم فقد الا  
كيف طاح العجوز تحت جدار  
رب إن القضاء أنحى عليهم  
ومر النار أن تكف أذاها  
أين طوفان صاحب الفلك يروي  
أشعلت فحمة الدياتي فباتت  
غشيتهم والنحس يجري يمينا  
فأغارت وأوجه القوم بيض  
أكلت دورهم قلمما استقلت  
أخرجتهم من الديار عراة  
يلبسون الظلام حتى إذا ما  
حالة لا تقبهم البارد والحر  
أيها الراقلون في حلل الوش  
إن فوق العراء قوماً جياعاً  
إيهذا السجين (١) لا يمنع السج  
مر بألف لهم وإن شئت زدها

كيف باتت نساؤهم والعذارى؟  
م وكيف اصطلى مع القوم ناراً؟  
يتداعي وأسقف تتجاري؟  
فاكشف الكرب واحجب الأقدارا  
ومر الغيث أن يسيل انهمارا  
هذه النار فهي تشكو الأوارا (٢)  
تملاً الأرض والسماء شرارا  
ورمتهم والبؤس يجري يسارا  
ثم غارت وقد كستهن قارا  
لم تغادر صغارهم والكبارا  
حذر الموت يطلبون الفرارا  
أقبل الصبح يلبسون النهارا  
مر ولا عنهم تبرد الغبارا  
سي (٣) يجزن للذيول افتخارا  
يتوارون ذللة وانكسارا  
من كريمات من يقبل العثارا  
وأجرهم كما أجرت النصارى

\*\*\*

ملاً العين والفؤاد ابتهارا  
أن ذاك الفناء يجري نصارا

قد شهدنا بالأمس في مصر عرساً (٤)  
سال فيه للنضار حتى حسبنا

(١) يقصد أحمد المنشاوي باشا المحسن وصاحب المبرات المعروفة.

(٢) الأوار: شدة الحرارة والعطش.

(٣) حلل الوشي الثياب المزركشة.

(٤) يقصد عرس زواج (الأمير) حيدر فاضل من كريمة على فهمي (باشا) سنة ١٩٠٢ وكان من أعظم المهرجانات.

أخجل الصبح حسنه فتواري  
في يد الكأس يخلعون الوقارا  
ملاً البر ضجة والبحارا

بات فيه المنعمون بليلى  
يكتسون السرور طورا وطورا  
وسمعنا في (ميت غمر) صياحا

\*\*\*

يتغنى وذاك بيكي الـديارا  
وسعودا وعسرة ويسارا!

جل من قسم الحظوظ، فهذا  
رب ليل في الدهر قد ضم نحسا

## الجامعة في سبيل الكفاح

وقال من قصيدة له في سنة ١٩٠٨ يدعو إلى معاضدة مشروع الجامعة المصرية.

إن تنتشروا العلم ينشر فيكم العربا (١)  
تكون أما لطلاب العلا وأبا  
من المعالي وتبني العز والغلبا  
ضعوا النضار فإني أصغر الذهبا  
قيل العدو فإني أعرف السببا (٢)  
ذاك العميد ويرميكم به غضبا (٣)  
فكل حي سيجزي بالذي اكتسبا (٤)  
فابنوا على الحق برجا ينطح الشها  
قول المفند أني قال أو خطبا  
وطالبوهم ولكن أجملوا الطلبة

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا  
ولا حياة لكم إلا بجامعة  
تبني الرجال وتبني كل شاهقة  
ضعوا القلوب أساساً. لا أقول لكم  
وابنوا بأكبادكم سوراً لها ودعوا  
لا تقنطوا إن قرأتم ما يزوقه  
وراقبوا يوم لا تغني حصائده  
بني على الإفك أبراجاً مشيدة  
وجاوبوه بفعل لا يقوضه  
لا تهجعوا إنهم لن يهجموا أبداً

(١) أي يبعث فيكم مجد العرب.

(٢) يشير على ما كان يقيمه المعتد البريطاني من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة.

(٣) يشير على ما كان يقيمه المعتد البريطاني من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة.

(٤) حصائد أي حصائد الصيد أي ما يقول ليشي به العزائم عن مشروع الجامعة.

وختمها بقوله:

إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم أجر المجاهد طوبى للذي اكتتبا

## رعاية الأطفال

وألقي في إبريل سنة ١٩١٠ القصيدة الآتية في احتفال أقامته جمعية رعاية الأطفال  
يصف بؤس أم فقيرة حالم وكيف لقيت الرعاية والإسعاف في مستشفى الجمعية:

لا، بل فتاة بالعراء حيالي  
راع هناك وما لها من والي  
ناراً بأنات ذكين<sup>(١)</sup> طوال  
مالي أشاطرها الوجيعه مالي؟  
وقع النبال عطفن إثر بنال  
رسم على طلل من الأطلال  
لم تدر طعم الغمض منذ ليالي  
ومضى الحمام بعمها والخال

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال؟  
أمسيت بمدرجة الخطوب فما لها  
حسرى تكاد تعيد فخمه ليها  
ما خطبها عجبا، وما خطبي بها؟  
ذانيتها ولصوتها في مسمعي  
وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها  
فتلملت جزعا وقالت: حامل  
قد مات والدها وماتت أمها

وجرى البكاء بدمعها الهطال  
يحنو على أمثالها أمثالي  
في هيكل يرنو إلى تمثال  
بزوالهن فوادح الأتقال  
هبفاء روعها الأسى بهزال  
شمس النهار فأصبحت كالآل<sup>(٢)</sup>

والى هنا حبس الحياء لسانها  
فعلمت ما تخفي الفتاة وإنما  
ووقفت أنظرها كأنى عابد  
ورأيت آيات الجمال تكفلت  
لا شيء أفعل في النفوس كقامة  
أوغادة كانت تريك إذا بدت

(١) ذكين: أي توقدن واشتعلن.

(٢) الألو السراب.

قلت: انهض قالت: أي نهض ميت  
فحملت هيكل عظمها وكأني  
وظفقت أنتهب الخطا متيمماً  
أمشي وأحمل بئسين: فطارق  
أبكيهما وكأنما أنا ثالث

من قبره ويسير شن بالي (١)  
حملت حين حملت عود خلال  
بالليل (دار رعاية الأطفال)  
باب الحياة ومؤذن بزوال (٢)  
لهما من الإشفاق والإعوال (٣)

\*\*\*

وطرقت باب الدار لا متهيبا  
طرق المسافر أب من أسفاره  
وإذا بأصوات تصيح: ألا افتحوا  
وإذا بأيدي طاهرات عودت  
جاءت تسابق في المبرة بعضها  
فتناولت بالرفق ما أنا حامل  
وإذا الطيب مشمر وغذا بها  
جاءوا بأنواع الدواء وطوفوا  
وجثا الطيب يجس نبضا خافتا  
لم يدر حين دنا ليلو (٤) قلبها

أحداً ولا مترقباً لسؤال  
أو طرق رب الدار غير مبالي  
دقات مرضي مدلجين عجال  
صنع الجميل تطوعت في الحال  
بعضاً لوجه الله لا للمال  
كالأم تكلاً كفلها وتوالي  
فوق الوسائد في مكان عالي  
بسرير ضيقهم كـ بعض الآل  
ويرود ممكن دائها القتال  
دقائق قلب أم ديب نمال؟

\*\*\*

(١) الثن. القرية الخلق البالية.

(٢) طارق باب الحياة: الجنين، ويرد بالمؤذن بالزوال: أمه.

(٣) الإعوال، البكاء.

(٤) ييلو: أي يختبر.

ودعتها وتركتها في أهلها  
وعجزت عن شكر الذين تجردوا  
لم يخلوها بالسؤال عن اسمها  
خيرا الصنائع في الأنام صنيعة  
وإذا النوال أتى ولم يهرق له  
من جاد من بعد السؤال فإنه

وخرجت منشرجا رضي البال  
للباقيات وصالح الأعمال  
تلك المروءة والشعور العالي  
تنبو بحاملها عن الإذلال  
ماء الوجوه فذاك خير نوال  
وهو الحواد- يعد في البخال

\*\*\*

لله درهم فكم من بئس  
ترمي به الدنيا فمن جوع إلى  
عين مسهدة وقلب واجف  
لم يدر ناظره أعريانا يرى  
فكأن ناحل جسمه في ثوبه  
يا برد فاحمل قد ظفرت بأعزل  
يا عين سحي يا قلب تفتري  
لولا هم لقضي عليه شقاؤه  
لولا هم كان الردي وقفا على

جم الوجيعة سيء الأحوال  
عرى إلى سقم إلى إقلال  
نفس مروءة وجيب خالي  
أم كاسياً في تلكم الأسمال  
خلف الخروق يطل من غربال  
يا حر تلك فريسة المغتال  
يا نفس رقي يا مروءة والى  
وخلال المجال لخاطف الأجال  
نفس الفقير ثقيلة الأحمال

\*\*\*

لله در الساهرين على الألي  
القائمين بخير ما جاءت به  
أهل اليتيم وكهفه وحماته

سهروا من الأوجاع والأوجال (١)  
مدنية الأديان والأجبال  
وربيع أهل البؤس والإمحال (٢)

\*\*\*

(١) الأوجال: المخاوف.

(٢) الإمحال: الجذب.

لا تهملوا في الصالحات فإنكم  
إنني أرى فقراءكم في حاجة  
فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم  
والمحسنون لهم على إحسانهم  
وجزاء رب المحسنين يجلب عن

لا تجهلون عواقب الإهمال  
- لا تعلمون - لقائل فعال  
ميدان سبق للجواد النال (١)  
يوم الإثابة عشرة الأمثال  
عدة وعن وزن وعن مكيال

وقال في سنة ١٩١١ يدعو إلى العطف على البؤساء:

دعوة البائس المعذب سور  
وهي حرب على البخيل وذو البغ  
إن هذا الكريم قد صان عرضي  
عال طفل وعالني وحباني  
وهو من معشر أغاثوا ذوي البؤ  
وأقاموا للبر داراً فكانت  
مأنت رحمة وفاضت حناناً

يدفع الشر عن حياض الكرام  
سي وسيف على رقاب اللئام  
وحماني من عاديات السقام  
بكساء وبردٍ وطعام  
س وقاموا في الله خير القيام  
خير ورد يؤمه كل ظامي  
فهني للبائسات دار السلام

إلى أن قال في الإحسان والزكاة:

قد نجا المنعم الجواد من المؤ  
فأطفنا بها وقد ملأ الأند  
وشهدنا ثغر الوفاء تجلي  
ورأينا شخص المروءة والبر  
وعلمنا أن الزكاة سبيل الله  
خصها الله في الكتاب بذكر  
بدأت مبدأ اليقين وظلت  
لو وفي بالزكاة من جمع الدن  
ما شكا الجوع معدم أو تصدى

ت بفضل الزكاة والإنعام  
فس منا جلال ذاك المقام  
إذ تجلي في ثغرها البسام  
ر تبدي في شخص ذاك الهمام  
قبل الصلاة، قبل الصيام  
فهي ركن الأركان في الإسلام  
لحياة الشعوب خير قوام  
يا وأهوي على اقتناء الحطام  
لركوب الشرور والآثام

(١) الجواد. الكرم والنال. الكثير النائل وهو العطاء.

راكباً رأسه طريداً شريداً  
سائلاً عن وصية الله فيه  
لا يبالي بشرة أوزمام  
أخذاً قوته بحد الحسام

## ملجأ الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ في تحية ملجأ الحرية، وفيها يهيب بالأثرياء أن يبروا الأيتام والفقراء، ويشير إلى يقظة الأمة سنة ١٩١٩ وما أحدثته الثورة في النفوس من التطلع إلى المثل العليا.

أيها الطفل لك البشرى فقد  
قدر الله حياة حرة  
لا تخف جوعاً ولا عرياً ولا  
لك عند البر في ملجئه  
حيث تلقى فيه حذبا وتري  
قدر الله لنا أن ننشرا (١)  
وأبى سبحانه أن تقبرا  
تبك عيناك إذا خطب عرا (٢)  
حيث تأوي خاطر لن يكسرا  
بين أترابك عيشاً أنضرا

\*\*\*

لا تسئ ظنا بمترينا فقد  
كان بالأمس وأقصى همه  
فغدا اليوم يواسي شعبه  
نبهت عاطفة البر به  
جمعتنا في صعيد واحد  
فتعاهدنا على دفع الأذى  
وتواصلنا بصبر بيننا  
تاب عن آثامه واسـ تغفرا  
- إن أتى عارفة (٢) - أن يظهر  
وهو لا يرغب في أن يشكرا  
محنة عمت ومقدار جري  
وأرادتنا على أن نقهرا  
بركوب الحزم حتى نظفرا  
فغدونا قوة لا تزدي

(١) نشرة: أي نحيا ونبعث

(٢) عرا: ألم ونز.

أنشرت<sup>(١)</sup> في مصر شعباً صالحاً  
كم محب هائم ف يحبها  
وشباب وكهول أقسموا

كان قبل اليوم منك العرا  
ذاد عن أجفانه سرح الكرى  
أن يشيدوا مجدها فوق الذرا

\*\*\*

يا رجال الجد هذا وقته  
ملجأ أو مصرفاً أو مصنعا  
أنا لا أعذر منكم من وني  
فابدعوا بالملجأ الحر الذي  
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا  
أيها المثري! ألا تكفل من  
أنت ما يدريك لو أنبتته  
ربما أطلعت (سعداً) أخراً  
ربما أطلعت منه (عبده)  
ربما أطلعت منه شاعراً  
ربما أطلعت منه فارساً  
كم طوي البؤس نفوساً لو رعت  
كم قضى العدم على موهبة

أن يعمل كل ما يرى  
أو نقابات لزراع القرى  
وهو ذو مقدره أو قصرا  
جئت للأيدي له مستمطرا  
أن كل الصيد في جوف الفرا  
بات محروماً يتيماً معسراً؟  
ربما أطلعت بدرأ نيرا  
يحكم القول ويرقى المنبرا  
من حمى الدين وزان (الأهرا)  
مثل (شوقي) نابهاً بين الورى  
يدخل الغيل على أسد الشرى<sup>(٣)</sup>  
منبتاً خصباً لكانت جوهرأ  
فتوارت تحت أطباق الثرى

\*\*\*

كل من أحيا يتيماً ضائعاً  
إنما تحمد عقبى أمره

حسبه من ربه أن يؤجرا  
من لأخراه بدنياه اشترى

(٢) العارفة: العطية والمعروف.

(١) أنشرت: أي أحييت.

(٣) الغيل: الشجر الكثير الملتف تأوي إليه الاسود، والشرى: مأسدة جانب الفرات بضرب بأساها المثل.

## جمعية إغاثة العميان

وقال في سنة ١٩١٦ في احتفال أقامته جمعية إغاثة العميان:

إن حق الضرير عند ذوي الأب—  
لم يضره فقدانه نور عيني—  
أنسوا فنسه إذا أظلم العي—  
وجهوه إلى الفلاح يفدكم  
أكملوا نقصه يكن عبقريا  
كم رأينا من أكمة لا يجاري  
لم تقف آفة العيون حجازاً  
عدم الحس قائداً فحداه  
مثل هذا إذا تعلم أغنى  
ذاك أن الذكاء والحفظ حلا  
فعلى كل أكمة وبصير

— صار حق مستوجب التقديس  
— إذا اعتاض عنهما بأنيس  
ش بعلم فالعلم أنس النفوس  
فوق ما يستفيدة من دروس  
مثل (طه) مبرزاً في الطروس  
وضرير يرجى ليوم عبوس  
بين وثباته وبين الشمس  
هدى وجدانه إلى المحسوس  
عن كثير وجاءنا بالنفيس  
في جوار النهي بتلك الرعوس  
شكر أعضائكم وشكر الرئيس

## المال والعلم والأخلاق

قال سنة ١٩٢١ باسم مصر، قصده - مصر تتحدث عن نفسها:

وارفعوا دولتي على العلم والأخلا  
ق فالعلم وحده ليس يجدي

وقال سنة ١٩١٠ من قصيدة له (ص ١٢٦) في الحث على إغاثة مدرسة للبنان

ببورشعيد:

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي  
إنني لأحمل في هواك صباية  
لهفي عليك متى أراك طليقة  
كلف بمحمود الخلال متم  
إنني لتظرنني الخلال كريمة  
في حب مصر كثيرة العشاق  
يا مصر قد خرج عن الأطواق  
يحمي كريم حماك شعب راق  
بالبذل بين يديك والإنفاق  
طرب الغريب بأوبة وتلاقي

وتهزني ذكرى المروءة والندى بين الشمائل هزة المشـتاق

\*\*\*

فإذا رزقت خليفة محمودة فالناس هذا حظه مال وذا  
والمال إن لم تدخره محصنا والعلم إن لم تكتنفه شمائل  
لا تحسبن العلم ينفع وحده فقد اصطفاك مقسم الأرزاق  
علم وذاك مكارم الأخلاق بالعلم كان نهاية الإملاق (١)  
تعلية كان مطية الإخفاق ما لم يتوج ربه بخلاق (٢)

## فضل المرأة على المجتمع

وقال في هذه القصيدة ينوه بفضل المرأة في المجتمع:

من لي بتربية النساء؟ فإنها  
الأم مدرسة إذا أعددتها  
الأم روض إن تعهده الحياء (٣)  
الأم أستاذة الأساتذة الألي  
في الشرق علة ذلك الإخفاق  
أعددت شعباً طيب الأعراق (٤)  
بالري أورك أيما إياراق  
شغلت مآثرهم مدى الأفاق

\*\*\*

(١) الإملاق: الفقر.

(٢) الخلاق: النصيب من الخير والصلاح.

(٣) الحياء: المطر.

(٤) الأعراق: الأصول، الواحد عرق.

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً  
يـدرجن حين أردن لا من وازع  
يفعلن أفعال الرجال لوأهيا  
في دورهن شئونهن كثيرة  
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا  
ليست نساؤكم حلي وجواهر  
ليست نساؤكم أثاثا يقتني  
تتشكل الأزمان في أدوارها  
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا  
ربوا البنات على الفضيلة إنها  
وعليكم أن تستبين بناتكم

بيـه الرجال يجلن في الأسواق  
يحذرن رقبتـه ولا من واقـي  
عن واجبات نواعس الأحداق  
كشئون رب السيف المزراق (١)  
في الحجب والتضييق والإرهاق  
خوف الضياع تصان في الأحقاق  
في الدور بين مخادع وطباق  
دولا وهن على الجمود بواقـي  
فالشر في التقييد والإطلاق  
في المواقفين لهن خير وثاق  
نور الهدي وعلى الحياء الباقي

## المناصب والفضائل

من قوله في رثائه لمحمود سامي البارودي:

إن المناصب في عزل وتولية  
غير المواهب في ذكر وتخليد

ومات حافظ سنة ١٩٣٢ بعد أن خلف لمصر والشرق ذخيرة من الوطنية وكنوزا من  
الشعر والحكمة والأخلاق لا تفني ولا تنفذ على مر الزمان.

---

(١) المزراق: الريح.